IUGJEPS
Vol 30, No 2, 2022, pp427-458

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (28-2-2021)، تاريخ قبول النشر (13-4-2021)

دَلالاتُ الألفَاظ علَى المعانِي الخَفيَّة، وأثرُهَا في إثرَاءِ المعَانِي القُرآنيَّة دِراسَةٌ تأصِيليَّةٌ تطبِيقيَّةٌ (آيات الدعاء من سورة آل عمران أُنموذجًا)

اسم الباحث الأول: إبراهيم داود درغام * 1

اسم الباحث الثاني : أ. د. جمال محمود الهوبي 2

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول) كلية أصول الدين- قسم التفسير- الجامعة الإسلامية بغزة

[2] اسم الجامعة والبلد (للثاني) طالب دكتوراه بقسم التفسير بالجامعة الإسلامية بغزة

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: ibrahimdorgham35@yahoo.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.2/2022/13

المُلخّص:

تناول هذا البحث بيان أهمية دلالات الألفاظ على المعاني الخفية، وإلقاء الضوء على المعاني الخفية، ومن ثم تعريف الدلالة لغة واصطلاحًا، وذكر أقسام الدلالة عند الأصوليين والبلاغيين، ثم تناول الحديث عن الضوابط والقواعد العامة لإجرائها وإعمالها في استنباط المعاني الخفية من الآيات القرآنية.

وجمعت الدراسة بين التأصيل والتطبيق؛ لذا تلا القسم التأصيلي قسم تطبيقي يُجلِّي موضوع الدراسة، واختار الباحثان آيات الدعاء من سورة آل عمران.

كلمات مفتاحية: (دلالات، الألفاظ، المعاني، الخفية، آل عمران)

The Semantics of Connotations and their Impact on Enriching the Quranic Meanings An applied etymological study (Supplication verses from Surat Al-Imran as a model)

Abstract:

This research deals with explaining the importance of semantics on hidden meanings, shedding light on hidden meanings, then defining the connotations in language and idiomatically, and mentioning the semantics sections for fundamentalists and rhetorics, and then dealing with the discussion of general controls and rules for their conduct and their implementation in deducing the hidden meanings of the Qur'anic verses

The study combined rooting and application, so an applied section was followed by an applied section that clarifies the subject of the study, and the researchers chose verses for supplication from Surat Al-Imran

Keywords: (Connotations, expressions, meanings, hidden, Al Imran)

دَلالاتُ الألفَاظِ علَى المعانِي الخَفِيَّة، وأثَرُهَا في إثرَاءِ المعَانِي القُرآنِيَّة

دِراسَةٌ تأصِيليَّةٌ تطبِيقيَّة – (آيات الدعاء من سورة آل عمران أُنموذجًا)

المُقدَّمَةُ

الحمد لله الكريم المنان، الحمد لله الذي امتن علينا بنعمة القرآن والذي كشف لعلمائنا وباحثينا أسرار الوحي والبيان، والصلاة والسلام على رافع لواء الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والداعين بدعوته إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فما زالت الهمم تترافد، والنفوس تتوق إلى التزوّد من الفيض القرآنيّ الّذي لا تدرك أسراره، ولا تُحدّ كنوز عظمته ولا تنفد عجائبه، متعهّدة بكلّ ألوان البيان والإيضاح، وهذا هو ديدن العلماء والباحثين على تعاقب العصور والأزمان، إذ سعى هؤلاء إلى تفسير ألفاظ الكتاب الحكيم وتراكيبه، وبيان ما غمض منها، والوقوف على أسراره ودلائل إعجازه، وتحليل أسلوبه والكشف عن خفايا معانيه، وكانت وسيلتهم في ذلك هي (المعنى) الّذي يعدّ غاية العلوم اللغويّة، والوظيفة الرئيسة للّغة، وهو قوام علم الدلالة والأساس الّذي يبنى عليه.

وما يهم في هذا البحث القرآني، هو ما يتعلق بدلالة الألفاظ على المعاني الخفية الغامضة غير المباشرة، وقد كان من توفيق الله، أن يكون الموضوع الذي تخيرناه لبحثنا متصلاً بأشرف غاية، وهي خدمة كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وقد اخترنا سورة من أعظم سوره، وأكثرها فضلاً، وهي سورة "آل عمران" التي جاء في مكانتها الكثير من الفضل، وهي من أكثر السور التي ورد فيها دعاء؛ لأننا إذا أردنا الثبات على المنهج علينا أن ندعو الله تعالى، ونلجأ إليه. ومن هنا كانت هذه الدراسة الموسومة بـعنوان:

دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة، وأثرُها في إثراءِ المعاني القرآنية

دراسةٌ تأصيليةٌ تطبيقيةٌ – (آيات الدعاء من سُورةُ آل عمران أنموذجًا).

أولاً: أهميةُ الدّراسَة

1. هذه الدراسة تعرض الدلالات الخفية وتتوسّع في إبرازها؛ بُغية بيان أهميتها في ذاتها، وفَتْح الباب لتأمّلها في الواقع التفسيري، وبيان تطبيقاتها لدى المفسّرين وبيان مقدار اعتنائهم بها.
2. الرغبة في الجمع بين الحسنيين؛ إذ إنَّ مبحث دلالات الألفاظ من حيث الوضوح والخفاء له علاقة وثيقة الصلة بعلم الأصول والتفسير والبلاغة، فلا يتأتى إدراك المعاني البعيدة الخفية إلا من خلال الجمع بين التأصيل والتطبيق والتمثيل.
3. أنَّ طرق دلالة الألفاظ على المعاني بشكل عام، وبحسب وضوحها وخفائها بشكل خاص منبع ثري للمعاني القرآنية، ومعرفة المراد من معانيها، وإدراك طرق دلالتها.
4. التعرف على دلالات الألفاظ القرآنية في آيات الدعاء من سورة آل عمران، فهي من أكثر السور التي ورد فيها الدعاء.

ثانيًا: أسبابُ اخْتِيَارِ الدّراسَة

من أهم دواعي الكتابة في هذا الموضوع، ومما شد من أزرنا، وشحذ همتنا وعزمنا للكتابة فيه، ما نلحظه من أهمية بالغة تعود إلى الأسباب الآتية:

1. ابتغاء مرضاة الله، والرغبة في نيل شرف خدمة تفسير القرآن الكريم كونه أشرف العلوم، وفهم معانيه أوفى الفهوم، وشرف العلم بشرف المعلوم، فصار تدبر آياته والعمل بها خير تدبّر، والكشف عن معانيه أسمى تذكّر.

2. أنَّ مباحث الدلالات تُعد منهجًا أصوليًا فكريًا إسلاميًا، يُجلي روعة التشريع الإسلامي بكل فنونه وعلومه جلاءً كافيًا وافيًا.
3. دلالات الألفاظ على المعاني من المباحث التي تحتاج الى اعتناء أهل العلم، ولا سيما آيات الدعاء والحد الأدنى من معرفة الله أن تدعوه، والدعاء سلاح المؤمن، وأنت بالدعاء أقوى إنسان في الكون.
4. إضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية يستفيد منها طلابُ العلم، والباحثون والدارسون في مجال التفسير وعلوم القرآن.

ثالثًا: أهداف الدّراسَة وغاياتها

1. بيان قيمة دلالة الألفاظ القرآنية وأثرها في إثراء المعاني القرآنية، مع عرضِ البحث لعددٍ من الأمثلة التحليلية لبيان قيمة الدلالة في إثراء المعنى القرآني.
2. الوقوف على أبرز دلالات الألفاظ على المعاني الخفية في آيات الدعاة المنتقاة من سورة آل عمران.
3. إخراج علم الدلالة من حيز التنظير إلى حيز التطبيق، والدلالة على أن علم الأصول وعلم البلاغة، والتفسير مرتبطٌ بعضُهما ببعضٍ ارتباطًا وثيق الصلة؛ إذ إنَّهما كجناحي طائر، لا يستطيع المفسر وطالب العلم الشرعي التحليق في فضاءات الاجتهاد إلا بهما.
4. معرفة أسباب الاختلاف بين المفسرين؛ إذ إنَّه في جزء كبير منه يرجع إلى اختلافهم في طرق دلالة اللفظ على المعنى، مما يدلُّ دلالة واضحة على أن اختلاف المفسرين لم يكن في مجمله رواسب تعصب مذهبي، بل هو ثمرة اختلاف علمي منهجي.

رابعًا: الدِّرَاسَاتُ والجُهُود السَّابِقَة

قام الباحثان بالتَّتبُّع والتنقيب الحثيث، والتقليب في القديم والحديث، والاطلاع على ما كُتِب حول هذا الموضوع، في المكتبات، والمواقع الإلكترونية ذات الصِّلة، ولَمْ يطلع الباحثان على رسالة علميَّة جامعيَّة تفي بموضوع الدراسة، تناولته في إطار دراسة علمية متخصصة محكمة، أو أبحاث مُحكَّمة في هذا الموضوع.

إلَّا أنَّ هناك دراستين لهما علاقة بالموضوع، لكنَّ تناولها كان خاصًا، وهما على النحو الآتي:

1. التعريض في القرآن الكريم: أ. د. إبراهيم محمد الخولي، ط1، دار البصائر، 2004م، ويتناول في الفصل الأول من الكتاب مفهوم التعريض لغة واصطلاحًا، ويخصص الفصل الثاني من الكتاب لعرض دلالة التعريض، ثم ينتقل بعد ذلك في الفصل الثالث لعرض عناصر الدلالة في التعريض، مثل العبارة في أسلوب التعريض ودور السياق في التعريض، ويختتم بالفصل الرابع عن القيمة الفنية للتعريض.
2. الكناية في القرآن الكريم (موضوعاتها ودلالاتها البلاغية): أحمد فتحي الحياني، وقد صدر هذا الكتاب في طبعته الأُولى لمكتبة النقد العربي عام 2014م، اقتصر فيه مؤلفه على دلالة الكناية، وهي إحدى الدلالات التي يتناولها هذا البحث.

خامسًا: المنهج المتبع في الدّراسَة

سلك الباحثان في هذه الدِّراسة المنهج الوصفي التحليلي جامِعَيْنِ بين الاستقراء والتحليل، والتأصيل والتمثيل في تتبع الآيات القرآنيَّة ذات الصِّلة بالموضوع، من خلال استقرائها في التفاسير ذات العناية بهذا النوع من الدلالة، ودراستها دراسة موضوعيَّة، والتَّدبُّر في معانيها، والوقوف على أبرز دلالات الألفاظ على المعاني الخفية.

سادسًا: خطة الدّراسَة

سطرنا خطة للبحث واستفتحناها بمقدمة تلاها أربعة مباحث، وتعقبه خاتمة، على النَّحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع ومنهج دراسته والدراسات السابقة

المبحث الأول: تعريف الدَّلَالَة لُغةً واصطلاحًا وأقسامها.

المبحث الثاني: دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة في الآيات (8،9،16).

المبحث الثالث: دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة في الآيات (26،38،53،147).

المبحث الرابع: دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة في الآيات (191-194)

وأعقبت هذه المباحث خاتمة أبانت عن أبرز النتائج والتَّوصيات التي توصّل إليها البحث.

المبحث الأول

تعريف الدلالة وأقسامها

- **أولاً: تعريفُ الدَّلالة لُغةً**

إنَّ المُتَتَبِّع لمعاني الدلالة في اللغة، يجدها قد وردت للدلالة على عدة معانٍ متقاربة كما أوردها المعجميون (ابن فارس، وابن منظور، والفيروز آبادي)، وبيانها على النحو الآتي:

الدّلالة لغة: هي من مصدر دلّ يدل دَلالة و دِلالة إلا أن الفتح أعلى، ويقال دُلَولة، بالضم، وقلب الألف واو، كلها بمعنى واحد هو هدى وأرشد، والدليل والدال المرشد إلى الصواب، ودَله على الشيء يَدُلهّ دَلاًّ ودَلالة فاندلَّ: شَّده إليه، ودَللته فاندَلَّ.

وفي القاموس: ودَلَّهُ عليه دَلالَةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه. والدِّلِّيلى كخِلِّيفَى: الدَّلالَةُ أو عِلْمُ الدَّليلِ بها ورُسوخُهُ، فالذي يُقصد بالدّلالة لغةً الإرشاد إلى الشّيء والإبانة عنه، والدّليل: ما يُستَدَلّ به، فدّله على الشَّارع؛ أيّ يدلّه دِلالة ودَلالة[1]، ومن هذا العرض المعجمي يستفاد:

أولاً: أن كلمة (دلالة) مثلثة الفاء، أو أنها مفتوحة الفاء ومكسورتها فهي من المثنيات.

ثانياً: أن المعنى المحوري الذي تدور حوله مادة (دلل) هو الإرشاد والإبانة والتسديد بالأمارة أو بأي علامة أخرى لفظية أو غير لفظية[2].

وأصل الدلالة مصدر كالكتابة والأَمارة، والدال: من حصل منه ذلك، والدليل: في المبالغة، كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء باسم مصدره[3].

- **ثانيًا: تعريفُ الدَّلالة اصطلاحًا**

يخرج مصطلح الدلالة من إطاره اللُّغوي إلى الاصطلاح من خلال تصور العلماء له، والذي يبدو موازيًا – لأول وهلة – للتصور المعجمي؛ لذا ربما يُشكل هذا العنوان الفرعي (الدلالة في الاصطلاح) إشكالاً بحد ذاته، وهو يتناول مصطلح الدلالة بمعناه العام؛ وذلك قبل أن يصبح علمًا قائمًا بذاته[4].

فبين المصطلح بوصفه مبحثاً في علوم شتى، وبين المصطلح بوصفه علمًا قائمًا بذاته، مسيرة طويلة من التحول الدلالي، وتنوّع الفهم.

حتى نضج الفهم العام للمصطلح عند الجرجاني؛ ليصل إلى أن الدلالة: "هي كون الشيء يلزم بحالة من العلم به العلم بشيء آخر والشي الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[5].

---

[1] يُنظَر: لسان العرب، ابن منظور، (348/11)، ومقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 259)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، (1000)، والدلالة وعلم الدلالة (المفهوم والمجال والأنواع)، السيد يوسف، (ص2–4).

[2] يُنظَر: المثلث، ابن السيد البطليوسي، (4/2)، ودلالة السياق، ردة الله بن ضيف الله الطلحي، (ص27).

[3] ولقد وردت مشتقات من لفظ الدلالة في القرآن الكريم في سبعة مواضع، خمسة منها مصحوبة بالقصد والإرادة، واثنتان لا يلاحظ فيهما ذلك. ينظر: المفردات، الأصفهاني، (ص171)، ومعجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية، (415/1).

[4] يُنظَر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، (1/ 787)، وبيان المختصر = (شرح مختصر ابن الحاجب)، شمس الدين الأصبهاني، (1/ 120)، والبحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (2/ 68)، وشرح الكوكب المنير، ابن النجار، (1/ 125)، التعريفات، الجرجاني، (ص93)، الإبهاج، السبكي، (204/1).

[5] التعريفات، الجرجاني، (ص104).

وهو أشهر تعريف للدلالة, وباعتبار ما ذكره الجرجاني فإنَّ الدلالة معنى منتزع من الدال والمدلول، وينشأ من العلم بالدال العلم بالمدلول[1].

إنَّ هذا التصور الأولي لمصطلح الدلالة والذي لا يمكن –بطبيعة الحال– أن يصطبغ بصبغة علمية تحت عنوان (علم الدلالة) لأنَّه غير مستقل عن فرعيته في علوم المنطق والفلسفة والأصول إلى التصور اللغوي؛ ما يدفع الباحثان إلى تجزئة الاصطلاحي إلى عدة أقسام كما عند المنطقيين والبلاغيين والأصوليين، وبيانه على النحو الآتي:

ثالثًا: أقسام الدَّلالة عند البلاغيين

بلغت العناية بعلم الدلالة قمّتها لدى البلاغيّين، مثل شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجانيّ[2] الّذي وضع نظريّة (النظم) الّتي تقوم على أساس المعنى وربطه بالنحو، والدلالة عند عبد القاهر نوعان:

أحدهما: دلالة ظاهرة، تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده.

والآخر: باطنة غير ظاهرة، وهي الدلالة البلاغية، أو ما سمّاه بـ(معنى المعنى)، لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وهو أن تعقل من اللفظ معنى، ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.

وقد أقام الجرجانيّ النوع الثاني على الكناية والاستعارة والتمثيل، والمجاز، وهي أساليب تفصح عن المعاني الثواني[3].

إذ قال: إنّ "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك على معناه الّذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثمّ تجد لك بذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل".

رابعًا: أقسام الدَّلالة عند الأُصُوليّين

إنّ ادراك الأصوليّين لأهمّيّة الجانب اللغويّ في معرفة طرق دلالات النصوص دفعهم إلى البحث فيما يعينهم على دراسة المعنى بمستوياته الثلاثة (المعنى الحقيقيّ، والاستعماليّ، والوظيفي)، فالحقيقيّ يتمثّل بالمعجميّ، والثاني يتمثل باستعمال اللفظ في غير معناه الأصليّ، هو المجازيّ، وتمثّل الوظيفيّ بما تؤدّيه اللفظة من وظيفة نحويّة في أثناء تركيبها مع غيرها.

وقد بحثوا في العلاقة بين اللفظ والمعنى من جانبين: نظريّ وتطبيقيّ، شمل الأوّل منهما البحث في أصل اللغة، وجواز القياس فيها وعدمه، ودلالة الأسماء الشرعيّة والدينيّة.

أمّا الجانب التطبيقيّ، فقد تمثّل بتفسير الخطاب الشرعيّ الّذي بحثوا فيه أنواع دلالة اللفظ على المعنى، وهي لديهم على أربعة أقسام، هي: عبارة النصّ، وإشارة النصّ، ودلالة النصّ، واقتضاء النصّ[4].

وقد كان هناك اختلاف في تقويم الدلالة وأنواعها بين الأحناف والمتكلمين من الأصوليين، وقبل البدء بذلك تجدر بنا الإشارة إلى أنّ لعلماء المنطق تقسيمًا اصطلاحيًا للدلالة، وقد أفاد منه الأصوليون فهي عندهم على قسمين:

---

[1] يُنظَر: البحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة، دلدار غفور حمد أمين، (ص132).

[2] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، (ت/471هـ)، الشافعي المذهب، وُلِدَ وتوفي في جرجان، وهو صاحب الكتاب المعروف دلائل الإعجاز، ,الرسالة الشافية، وأسرار البلاغة. يُنظَر: بغية الوعاة، السيوطي، (106/2)، وشذرات الذهب، الحنبلي، (339/3).

[3] يُنظَر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، (202– 203).

[4] يُنظَر: البحث النحويّ عند الأصوليّين، مصطفى جمال الدين، (ص9)، والمعتمد في أصول الفقه، محمّد البصريّ، (1/ 13،30)، واللمع في أصول الفقه، الشيرازيّ (29)، والمستصفى من علم الأصول، الطوسي الغزّاليّ، (1/9، 30)، والتصوّر اللغويّ عند الأصوليّين، السيّد أحمد عبد الغفّار، (ص4).

1. الدلالة اللفظية: وهي دلالة الألفاظ على المعاني بالوضع اللغوي، سواء كان المعنى حقيقيًا أو مجازيًا.
2. الدلالة غير اللفظية: وهي الدلالة التي لا دخل للفظ فيها، إنّما يكون الدال فيها إشارة أو تعبيرًا، وتنقسم كلتا الدلالتين إلى دلالة طبيعية ودلالة وضعية ودلالة عقلية على النحو الآتي:

أ. الدلالة الطبيعية: هي الدلالة التي يكون فيها الدال شيئًا طبيعيًا، كدلالة التأفف على الضجر.

ب. الدلالة العقلية: وهي الدلالة التي يهتدى بها عن طريق العقل.

ت. الدلالة الوضعية: هي الدلالة التي يكون فيها الدال متفقًا أو مصطلحًا عليه، كدلالة (اللفظ) على تمام المعنى الموضوع له، والمستعمل من هذه الأقسام عند المناطقة والأصوليين هو الدلالة الوضعية للفظة، (وهي عند أهل التربية والأصول كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم المعنى منه للعلم بالوضع، وعند المنطقيين كونه بحيث كلما أطلق فهم المعنى للعلم بالوضع).

ويرى المناطقة والأصوليون، أنّ دلالة اللفظ على المعنى تنقسم إلى ثلاثة أنواع[1]:

1. دلالة المطابقة: وسميت دلالة مطابقة؛ للتطابق الحاصل بين الدال والمدلول، أي: بين اللفظ والمعنى المستفاد منه، وهي التي يدل اللفظ فيها على تمام معناه الموضوع له بطريق المطابقة، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق.
2. دلالة التضمن: وسميت دلالة تضمن؛ لأنَّ جزء المعنى قد فهم ضمن فهم تمامه، وهي اعتبار اللفظ إلى جزئه من حيث هو كذلك، نحو دلالة الفرس والإنسان والأسد على معانيها التي هي متضمنة لها، كالحيوانية والإنسانية، فإنّ هذه المعاني كلها تدلّ عليها الألفاظ عند الإطلاق؛ لأنّها متضمنة لها من حيث هذه الحقائق متضمنة لها، ودلالاتها عليها من جهة تضمنها له.
3. دلالة الالتزام: أجمع البلاغيون على أنّ الدلالة الوضعية لا يقع فيها تفاوت، وإنّما يقع التفاوت في الدلالة الالتزامية أو دلالة الالتزام، فالأولى وضعية والباقيتان عقليتان؛ لأنّ وضع اللفظ إذا وضع للمسمّى انتقل الذهن من المسمّى إلى اللازم، وسميت دلالة الالتزام؛ لأنَّ المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن معناه يلزم منه بواسطة العقل أو العرف[2].

هذا التقسيم الذي أقرّه كل من المناطقة والأصوليين في تقسيم الدلالة اللفظية إلى ثلاثة أقسام هي: (دلالة عقلية وتضمنيه والتزاميه)، في حين الذي يظهر واضحًا في كثير من كتب الأصوليين، أنّ الأصوليين انقسموا على فئتين في تحديد طرائق الدلالة هما: طريقة المتكلمين (المالكية والشافعية والحنبلية)، وطريقة الأحناف (مدرسة الفقهاء).

الأولى: طريقة الجمهور (المتكلمين) وقسموا طرائق الدلالة على قسمين: (المنطوق) و (المفهوم)

وينقسم المنطوق إلى قسمين: المنطوق الصريح، (وهو المعنى الذي يعلم من اللفظ بمجرد العلم بالوضع اللغوي)، والمنطوق غير الصريح، (وهو المعنى الذي دل عليه اللفظ في غير ما وضع له).

والمنطوق غير الصريح ينقسم إلى ثلاثة أقسام (دلالات)، وهي دلالة (الاقتضاء، والإيماء، والإشارة).

---

[1] يُنظَر: مفاهيم الألفاظ ودلالتها عند الأصوليين، (ص10)، وأسباب اختلاف الفقهاء، (ص156)، وضوابط المعرفة، الميداني، (ص23)، ونهاية الإيجاز، الرازي، (ص8)، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطلوب، (9/3) والمناهج الأصولية، الدريني، (ص217).

[2] يُنظَر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، (288/2)، ونهاية السول شرح منهاج الوصول، الإسنوي الشافعي، (ص148)، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (10/3)، الإبهاج، السبكي، (931/3)، والطراز، (35/1)، ضوابط المعرفة، الميداني، (ص25)، والمناهج الأصولية، الدريني، (ص217).

الثانية: طريقة الفقهاء الأحناف، وقد قسموا طرائق الدلالة إلى أربعة أنواع وهي: عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص[1].

[1] يُنظَر: معالم أصول الفقه، الجيزاني، (ص446)، ومفتاح العلوم، السكاكي، (ص156)، وأصول الفقه الإسلامي في نسيجه الجديد، الزلمي، (1/ 11)، وتفسير النصوص، محمد أديب صالح، (594/1)، والمهذب في أصول الفقه، النملة، (1724/4).

المَبحثُ الثَّانِي

دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة في الآيات (8،9،16)

تنتظم دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّةِ في آيَاتِ هذا المبحث في ثلاث مسائل، بيَانُها على النحو الآتي:

- **المَسألةُ الأُولَى:** قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران:8].

يقول الرَّاسخونَ في العِلم يا ربَّنا، لا تُمِلْ قلوبَنا عن الهُدى والحقِّ بعد إذ هديتَنا إليه، فوفَّقْتَنا للإيمانِ بمُحكَمِ كتابِك ومتشابِهه، فلا تَجْعَلْنا كالَّذين في قلوبهم زَيغٌ، ممَّن يتَّبِعُ ما تشابهَ من القُرْآن.

وهذا دعاءٌ يحتاج إليه كل مسلم في كل لحظة حتى يلقى ربه، مهما كان صالحًا نقيًّا، ومهما كان برًا تقيًّا؛ لأن القلوب تتقلب؛ ولأنَّ الأعمال بالخواتيم، ولا يدري العبد بماذا يُختَمُ له؟ ولخطورة هذا الأمر وأهميته كان المعصوم ﷺ، يكثر من الدعاء بالثبات على الدين، عن أمِّ سلَمةَ ﵂ قالت: كانَ أَكْثرُ دعائِهِ: يا مُقلِّبَ القلوبِ، ثبِّت قلبي علَى دينِكَ، قالَت: فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، ما أَكْثرَ دُعاءَكَ: يا مقلِّبَ القلوبِ، ثبِّت قَلبي علَى دينِكَ! قال: يا أمَّ سلَمةَ، إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أُصبُعَيْنِ من أصابعِ اللهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ، فَتلا معاذٌ: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا[1].

وفيه دليلٌ على أنَّ الهُدى والضَّلال مِن اللهِ تعالى، وأنَّه متفضِّلٌ بما يُنعِم عَلى عبادِه، لا يجبُ عليه شيءٌ ما[2]، وفي هذا الدعاء بيانُ أنَّ للقلبِ حالين: حالَ استقامةٍ، وحالَ زيغٍ، والإنسان مضطرٌّ إلى أنْ يسألَ اللهَ سبحانه وتعالى ألَّا يُزيغَ قلبَه، حتى يكونَ مستقيمًا؛ فهو لا يملِكُ قلبَه؛ لذا لا بدَّ أنْ يلجأَ إلى اللهِ بسؤالِه ألَّا يُزيغَ قلبه، ولا يغترَّ بنفسِه، ويتَّكِلَ على إيمانِه, فكم من مؤمنٍ زلَّ وارتكَس، والعياذُ بالله.

والقلبُ عليه مدارُ العمَلِ؛ لذلك سلَّط اللهُ فِعْلَ الزَّيغ عليه فقال: (لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا)؛ ولذا تكون التَّخليَة تكونُ قبل التَّحليَة، ومن ذلك قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا), ثمَّ قال: (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً)، فقدَّم اللهُ تبارَك وتعالَى السُّؤال في تطهير القلبِ عمَّا لا يَنبغي، على طلبِ تَنويرِه بما ينبغي؛ لأنَّ إزالةَ المانع قبل إيجادِ المقتضِي عينُ الحكمة[3].

والدُّعاء غالبًا ما يُصَدَّر بالرَّبِّ؛ لأنَّ الدُّعاءَ يتطلَّبُ الإجابةَ، والإجابةُ من الأفعال، والأفعال علاقتُها بالرُّبوبيَّة أكثر من علاقتها بالألوهيَّة؛ فالربوبيةُ تَقتضي القيامَ بأمورِ العباد وإصلاحِها؛ فكان العبدُ مُتعلِّقًا بمَنْ شأنُه التربيةُ والرفقُ والإحسان.

وقولهم: (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) لا يُرادُ به الافتخارُ، بل يرادُ به التَّوسُّل بالنِّعَم السَّابقة إلى النِّعَم اللَّاحقة، فتوسَّلوا إلى ربهم بالإيمان ومنة اللَّه تعالى به، من الوسائل المطلوبة، فيكون هذا من تمام دعائهم[4].

وقد تضمنت الآية سؤال المؤمنين ربهم تثبيت الإيمان في قلوبهم ومنحهم المزيد من فضله وإنعامه؛ لأنَّهم خافوا على أنفسهم بما يعتريهم من ضعف، وبما يتطلبه المتشابه من دقة التفكير ومشقة في الترجيح، وبما يقع منهم من تقصير في عبادة الله والإخلاص له، هذا الخوف جعلهم يفزعون إلى الله؛ ليقوي عزائمهم وينير عقولهم، فينادونه باسم الرب لا بغيره من الأسماء، ثم يضيفونه إلى أنفسهم (رَبَّنَا)؛ ليتقربوا إليه بالانتساب إليه سبحانه، وإذا فهمنا هذا المعنى بَانَ لنا السر في طلبهم الآخر: وهو قَولُهُ

---

[1] أخرجه الترمذي، (3522)، واللفظ له، وأحمد (26721). حسَّنه الترمذي، وحسَّن إسنادَه الهيثميُّ في مجمع الزوائد، (179/10)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في عمدة التفسير، (355/1)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (3522).

[2] يُنظَر: جامع البيان، ابن جرير، (228/5)، وتفسير ابن كثير، (13/2)، وتفسير الشربيني، (198/1)، وتفسير السعدي، (ص122).

[3] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (150/7)، ونظم الدرر، البقاعي، (249/4)، وتفسير ابن عثيمين، (55/1).

[4] يُنظَر: الموافقات، الشاطبي، (203/4)، والمواهب الربانية، السعدي، (ص 127)، وتفسير ابن عثيمين، (49/1).

تَعَالَى: (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً)، نبَّه تعالى بقوله: (هَبْ لَنَا) على أنَّ العبدَ يَنبغي ألَّا يلتفتَ إلى شيءٍ من عمَلِه، ولا أنْ يَطلُبَ العِوَضَ به، بل يَرجو رَجاءَ الطَّالبين للتفضُّلِ والهِبَة لا العِوَض، فهم يطلبون رحمة هبة، لا رحمة حق، فليس هناك مخلوق له حق على الله إلا ما وهبه الله له، وهم سألوا بلفظ الهبة المُشْعِرة بالتفضل والإحسان إليهم من غير سبب ولا عمل ولا معاوضة؛ لأنَّ الهبة كذلك تكون.

ومِن المَعْلُومِ أنَّ كَلِمةَ (مِنْ لَدُنْكَ) أخصُّ مِن كلمة (مِن عندك)؛ لأنَّ (اللدُنْ) يعني الخاص به. قَالَ صَاحب اللِسان: (لَدُنْ)؛ ظَرْفُ مَكَانٍ بِمَعْنَى عِنْدَ إلا أَنَّه أَقرب مَكَانًا (مِنْ عِنْدَ) وأَخصُّ مِنْهُ[1].

والتنكِيرُ في قوله: (رَحْمَةً)؛ للتَّعظيمِ، أي: رحمةً عَظيمةً واسعةً، وطلبُهم الرَّحمةَ مِن عندِ الله، حتى لا يكونَ لأحدٍ عليهم منَّةٌ سواه, ولأنَّها متى ما كانت مِن عندِه كانت عظيمةً؛ فالعطاءُ على قدرِ المعطي، وفيه تأخيرُ المفعول الصَّريح (رَحْمَةً) عن الجارَّينِ (مِنْ لَدُنْكَ)؛ للاعتناءِ بالمُقدَّم، والتشويقِ إلى المُؤخَّر؛ فإنَّ ما حقُّه التقديمُ إذا أُخِّر تَبقَى النفسُ مترقبةً لوروده، لا سيَّما عند الإشعارِ بكونه من المنافعِ.

والجملةُ (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) استئنافيَّةٌ لتَعليلِ السُّؤال والتَّوسُّل (رَبَّنَا لَا تُزِغْ)، أو لتعليلِ إعطاء المسؤول في قوله: (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً)[2]، وإثباتُ اسمِ الله الوهَّاب، وما يتضمَّنُه من صفةِ الهِبَة، وهي صِفةٌ فعليَّةٌ لله تعالى، والإتيان بصيغة المبالغة – مع إطلاقِها وعدمِ تقييدها، حيث لم يَقُل مثلًا: (وهَّاب الهداية)؛ ليتناولَ كلَّ موهوبٍ– على وزن فعال (الْوَهَّابُ) المأخوذ من الوهب، والهبة: وهي العطية سماحًا من غير قصد من الموهوب، ومعناه: الذي يجود بالعطاء بلا عِوَض، والمانح الفضل بلا غَرَض[3].

والإنسان مضطرٌّ إلى ربِّه في الدَّفعِ والرَّفع، أو في الجلبِ والدَّفع؛ لأنَّهم سألوا ألَّا يُزيغَ قلوبَهم بعد إذ هداهم، وسألوا أنْ يهَبَ لهم منه رحمةً؛ فدعاؤُهم ألَّا يُزيغَ قلوبَهم دعاءٌ بالرَّفعِ، ودعاؤهم بـ: (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) دعاءٌ بالدَّفع.

وختم ﷻ هذه الآية الكريمة بخاتمة بديعة، تدل على إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، وفي هذا تأكيد رحمة الله ﷻ بعدة مؤكدات، منها الآتي:

1. أسلوب القصر، أي: لَا يهب أحد سواك؛ وذلك للمبالغة في بيان فضل الله على عباده.
2. ومنها التعبير بصيغة المبالغة على وزن فعَّال، وهي: (الْوَهَّابُ)، وإنه سبحانه قد انفرد بالرحمة، وهبة الرحمة لمن يشاء، وإنَّ رحمته وسعت كل شيء.
3. وفيه تأكيد بـ(إنَّ)، وبالجملة الاسميَّة، وبطريق القَصر؛ فإنَّ ضميرَ الفصلِ يأتي لثَلاثِ فوائدَ: الأول: الفصلُ بين الصِّفة والخبر، والثانية: التوكيد، والثالثة: الحَصْر والقَصر[4].

أمَّا اسْتِعْمَال السِياق القرآني لِصِيغَتَي الخِطاب الكاف والضمير (أَنْتَ) فهو؛ لِتقوية الدَّلالة وللإشارةِ إلى أنَّ الهُدى والضَلال من قِبله تعالى وبيده.

---

[1] يُنظَر: روح المعاني، الألوسي، (88/2)، وتفسير الراغب، (433/2)، وفتح القدير، الشوكاني، (365/1) وتفسير الشعراوي، (1285/2)، والبحر المحيط، أبو حيان، (33/3)، والوسيط، طنطاوي، (35/2)، والتفسير التحليلي، الكبيسي، (ص45)، ولسان العرب، ابن منظور، (384/13).

[2] يُنظَر: البحر المحيط، أبو حيان، (33/3)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (9/2).

[3] يُنظَر: زاد المسير، ابن الجوزي، (261/1)، ونظم الدرر، البقاعي، (251/4)، واشتقاق الأسماء، الزَّجَّاج، (ص126)، وصفات الله عزَّ وجلَّ الواردة في الكتاب والسُّنة، علوي السَّقَّاف، (ص416)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، (2500/3).

[4] يُنظَر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (171/3)، وتفسير ابن عثيمين، (54/1).

وأنَّ الإنسان مهما بلغ من الإيمان والعلم لا يأمن تقلبات قلبه؛ لذا فإنَّ أهل الإيمان يرجون الله تعالى حفظ إيمانهم، وأن يجنبهم أسباب الزيّغ والجهل التي تحولهم عن هذه الهداية، لا سيما أنَّها كانت تفضلاً منه بدليل قوله: (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) ولم يقولوا (بعد أن اهتدينا)، فأنتَ الَّذي هَدَيْتَنا فَلا تَسْلِبها منَّا إذا فرط منَّا بحقك تقصير[1].

المَسألةُ الثانية: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾ [آل عمران:9].

في الآية السابقة قال تعالى: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ)، ففي هذه الآية تَكرارُ الدُّعاء بـ(رَبَّنَا إِنَّكَ)؛ للتنبيهِ على مُلازمتِه، وللتحذيرِ من الغفْلة عنه؛ لِمَا فيه من إظهارِ الافتِقار.

ومِن هَذَا الدُعاء، نَفْهَم عَنْهُم هذا الإيمان العميق من هذه التأكيدات المتعددة في خطابهم، فقد استخدموا النداء و(إنَّ) وكاف الخطاب الذي دل على حضورهم مع ربهم، واستخدموا الجملة الإسمية، فإذا أضفت إلى ذلك مناداته باسمه الرب وإضافته اليهم اعترتك الخشية والإجلال لله.

وفي قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ ليومٍ) إيجازٌ بحَذْفِ المضافِ إليه، وإقامةِ المضافِ مقامَه، والتقدير: يوم الحِسابِ أو يوم الجزاء؛ لكونِ المراد ظاهرًا، وللتهويلِ له، والتفظيعِ لِمَا يقَعُ فيه، وفيه تنبيه إلى أنه في هذا اليوم يتبين الحق، ويعلن الذين يزيغون والذين يذعنون، ويتبين زيغ الزائغ وجزاؤه، وثمرات الإيمان وجزاؤه.

وتنبيه آخر إلى أن اليوم الآخر لا ينبغي أن يكون محلَّ ريب؛ لأنَّ الذي أخبر به هو الذي خلق الخلق، فهو الذي بدأهم، وهو الذي يعيدهم، وفِيهِ تأكيدٌ؛ لإظهارِ مَا هم عليه من كَمالِ الطُّمأنينةِ، وقوَّة اليقينِ بأحوال الآخرة.

ولو قالوا: (في يوم)؛ لكان اليوم ظرفًا لجمعهم فقط، فلما قالوا: (لِيَوْمٍ) كان المعنى أنَّ جمعهم كان من أجل هذا اليوم بما يكون فيه من الحساب للعباد جميعًا[2].

قَولُهُ تعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)، تعليلٌ لمضمون الجُملة المؤكدةِ، أو لانتفاءِ الرَّيب، أي: لا يترك وفاء ما وعده لعباده، وهذا من بقية كلام الراسخين في العلم؛ وذلك لأنَّهم لما طلبوا من ربهم أنْ يصونهم عن الزيغ، وأنْ يخصهم بالهداية وأنواع الرحمة، فكأنَّهم قالوا: ليس غرضنا مِن هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا، فإنَّها منقرضة، وإنَّما غرضنا الأعظم منه ما يتعلق بالآخرة.

وإظهارُ الاسمِ الجليل مع الالتفات؛ للإشارة إلى تعظيم الموعود؛ لإبراز كمالِ التَّعظيمِ، والإجلالِ الناشِئ من ذِكرِ اليومِ المَهيب الهائل، ولتنبيهِ المخاطَب بتغييرِ أسلوبِ الكلام؛ وأيضًا لأنَّ الكلام بصيغةِ الغائب أبلغُ في تعظيمِ الله تبارَك وتعالَى، وما فيه من جزاء بعد الحساب، فهي تتضمن تبشيرًا للمؤمنين، وإنذارا للعاصين الكافرين؛ وللإشعار بعلة الحُكم فإن الألوهيةَ منافية للإخلاف[3].

قَالَ البَاحِثَان: وفيه التفاتٌ؛ حيث قال: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ)، ثم قال: (إِنَّ اللَّهَ)؛ هذا على القول بأنَّه من تمام حِكاية قول الرَّاسخين في العِلم، وأمَّا على القول بأنَّ الكلام مستأنَفٌ من كلام الله، فلا التفاتَ حينئذ.

---

[1] يُنظَر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (9/2)، وأنوار التنزيل، البيضاوي، (7/2)، وأيسر التفاسير، الجزائري، (288/1)، وروح البيان، اسماعيل حقي، (131/2).

[2] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (148/7)، والبحر المحيط، أبو حيان، (41/3)، والتفسير التحليلي، الكبيسي، (ص47).

[3] يُنظَر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (7/2)، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، (1114/2)، والدر المصون، السمين الحلبي، (34/3) وحدائق الروح والريحان، الهرري، (183/4)، وتفسير ابن عثيمين، (52/1).

وفي الفاصلة مناسبةٌ بليغة؛ ففي هذه الآية قال: (إِنَّ اللَّهَ)، وفي آخِر السُّورة قال: (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ)، والفرق: أنَّ هذه الآيةَ في مقامِ الهيبة، والإلهيَّة تَقتضي الحشرَ والنَّشرَ؛ لينتصف المظلومون من الظالِمين، فكان ذِكرُه باسمِه أَوْلى في هذا المقام، أمَّا قوله: (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ) في آخِر السُّورة، فذاك المقامُ مقامُ طلَب العبدِ من ربِّه أن يُنعِمَ عليه بفضله، وأنْ يتجاوزَ عن سيِّئاته، فلم يكُن المقام مقامَ الهيبة؛ فناسَبَه ذِكرُ الضَّمير: (إِنَّكَ).

وأيضًا التعبيرُ بنفيِ الخُلْفِ بلفظة: (المِيعَادَ)- وهي صيغةٌ تُستعمَلُ كاسمِ زمانٍ واسمِ مكانٍ بحسَبِ سياقِها- أبلغُ؛ لأنَّ نَفْي الخُلف في زَمنِ الوعدِ ومكانِه، أبلغُ من نفيٍ خلف الوعدِ ذاتِه، والمِيعَاد على صِيغة (مِفعال) من الوعد، وجِيء به هكذا؛ لإفادةِ معنى تكرُّره ودوامِه[1].

المَسألةُ الثالثة: قَولُهُ تعَالَى: **قَولُهُ تعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾** [آل عمران:16].

لَمَّا ذكَر اللهُ تعالى نعيمَ الآخرة، وأنَّه بصيرٌ بمَن يستحقُّ ما أعدَّ مِن الفوز العظيمِ، والنَّعيم المُقِيم، ذكَر مَن يستحقُّ هذا النَّعيمَ، ومَن هم أهله الَّذين هم أَولى به، وما استحقُّوا ذلك به من الأوصاف، تفضلًا منه عليهم بها، وبإيجابِ ذلك على نفسِه؛ حثًّا لهم على التَّخلُّقِ بتلك الأوصافِ.

ثم فسَّر أحوالَ المتَّقين الموعودين بالجنَّاتِ، وهذه هي أول أوصاف الذين استحقوا ذلك الجزاء الكريم من رب العالمين، يدلُّ عليها قولُه تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا...) إعلانَهم الإيمانَ باللهِ، واعترافَهم بالعبوديَّة، وعدمَ إعجابِهم بأنفسِهم، واعترافَهم بتقصيرِهم في طلَبِ المغفرةِ من اللهِ.

وفي حكاية هذا القول عنهم بصيغة المضارعة (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا) إشعار بأنَّهم يجددون التوبة إلى الله دائمًا؛ لقوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم[2]، وفيه إسقاطُ أداة النِّداء في (رَبَّنَا)؛ إشعارًا بما لهم من القُرب؛ لأنَّهم في حَضرةِ المراقبةِ، وفيه التأكيدُ بقوله: (إِنَّنَا) بإثباتِ النونِ للمبالغةِ في التأكيدِ.

وقَولُهُ تعَالَى: (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)، على مجرد الإيمان دَلالةٌ على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار، وفي الآية جوازُ التَّوسُّلِ بالإيمانِ؛ فالفاء هنا للسببيَّةِ، تدلُّ على أنَّ ما بعدَها مُسبَّبٌ عمَّا قبلها، أي: بسببِ إيمانِنا فاغفِرْ لنا؛ لأنَّ الإيمانَ لا شكَّ أنَّه وسيلةٌ للمغفرةِ، وكلَّما قوِيَ الإيمانُ، قوِيَتْ أسبابُ المغفرة، وهذا من بابِ التَّوسُّلِ بالطَّاعةِ لقَبولِ الدُّعاء؛ فهم توسَّلوا إلى اللهِ برُبوبيَّتِه، للإخبارِ بحالِهم في الإيمانِ به، كأنَّهم يقولونَ: ربَّنا آمَنَّا، ولكنَّنا لم نصِلْ إلى الإيمانِ إلَّا برُبوبيَّتِك لنا، تلك الرُّبوبيَّة الخاصَّة المقتضيَة للعنايةِ التَّامَّةِ[3].

---

[1] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (151/7)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (9/2)، ونظم الدرر، البقاعي (251/4).

[2] يُنظَر: عدة الصابرين، ابن القيّم، (ص168)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (279/4)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (411/1)، والوسيط، طنطاوي، (53/2).

[3] يُنظَر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (16/2)، وروح المعاني، الألوسي (99/2)، ومدارج السالكين، ابن القيم، (75/2)، وتفسير ابن عثيمين، (116-108/1).

المَبحثُ الثَّالِثُ

دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة في الآيات (26،38،53،147)

تنتظم دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّةِ في آيَاتِ هذا المبحث في أربع مسائل، بيَانُها على النحو الآتي:

المَسألةُ الأُولَى: قَولُهُ تعَالَى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:26].

يشير ابن حجة الحموي في كتابه إلى نكتةٍ بلاغيةٍ حيث يقول: "الّذي أقوله أنّ المطابقة الّتي يأتي بها النّاظم مجرّدة ليس تحتها كبير أمر، ونهاية ذلك أن يطابق الضّدّ بالضّدّ وهو شيءٌ سهلٌ، اللّهمّ إلّا أن تترشّح بنوعٍ من أنواع البديع يشاركه في البهجة والرّونق كقوله تعالى: (تُولِجُ اللَّيْلَ..) الآية".

ثم ذكر ﷻ قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر؛ دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام – ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده – فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم، وهذه مبالغة التّكميل المشحونة بقدرة الرّبّ ﷻ.

فانظر إلى عظم كلام الخالق هنا، فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الّذي لا يدرك؛ لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل الّتي لا تليق بغير قدرته[1].

والآية تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ في مقامِ بَيانِ عِنادِ المنكِرين، ومكابَرةِ الجاحدين، وتذكيرِه بقُدرتِه تعالى على نَصرِه وإعلاءِ كَلمةِ دِينه، وتَعليمٌ من الله تعالى لنبيّه محمَّد ﷺ أنْ يفوِّضَ الأمرَ إليه، والخِطاب الموجَّهُ له موجَّهٌ لأمَّته، إمَّا عن طريق التَّأسِّي، وإمَّا لأنَّ الخِطاب للإمام خِطابٌ له ولِمَن اتَّبَعه، ما لم يدلَّ الدَّليلُ على أنَّه خاصٌّ به[2].

وقد رد في سبب نزول الآية عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ)[3]، **وفي هذه الآيَة دَلالات خَفِيَّة، بيَانُها على النحو الآتي:**

- **الدَّلالَةُ الأُولَى:** قَولُهُ تعَالَى: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي).**

قُل يا محمد ﷺ، مُعَظِّمًا لربكَ وَمُتَوَكِّلًا عليه، وشاكرًا له ومُفَوِّضًا إليه، فالخطاب موجهٌ إلى النبي ﷺ، وهو أيضًا موجه إلى كل من يحمل دعوة الله نيابة عن محمد ﷺ، ولعل إضمار المقول له إنما كان لهذه الدلالة.

ومن المعلومِ أَنَّ مُلُوكَ الدنيا مُلْكُهُمْ مُلْكُ سياسةٍ ورِعايةٍ، بينما مُلْكُ اللَّهِ تَعَالَى مُلْكُ خَلْقٍ وَإِيجَادٍ وَتَصَرُّفٍ؛ لأنه تعَالَى يَمْلِكُ مُلوك الدنيا ومَا مَلكوا[4].

---

[1] يُنظَر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، (165/1)، والكشاف، الزمخشري، (350/1).

[2] يُنظَر: تفسير المنار، رضا (222/3)، وتفسير ابن عثيمين، (160/1).

[3] وهو مرسل صحيح الإسناد، ذكره الواحدي في، أسباب النزول (ص100)، وحديث قتادة مع أن إسناده صحيح، إلا أنه لا يُعد من أسباب النزول، وإنما من قبيل التفسير للآية القرآنية، وتفسير الصحابة للكلمات القرآنية تفسيرًا لغويًا لا يُعد من قبيل المرفوع. يُنظَر: إتقان البرهان، فضل عباس، (292/1).

[4] يُنظَر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (29/2)، والتفسير التحليلي، الكبيسي، (ص111)، وأضواء البيان، الشنقيطي، (176/9)، والفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص474).

وفي هذه الآيات من النّكات البلاغية في باب علم المعاني، الخروج عن مقتضى الظاهر (وضع الظاهر موضع المضمر)، فالأصل في الأسماء أن تكون ظاهرةً، والأصل أنّه إذا ذكِر ثانيًا أن يذكر مضمرًا؛ لِلِاسْتِغْنَاءِ عنه بالظاهر السّابق، وأحد أسباب الخروج عن مقتضى الظاهر إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنَّه غير الأول.

وقد أشار ابن الخشّاب[1] إلى ذلك عند قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) بقوله: لو قال: (تؤتيه)؛ لأوهم أنَّه الأول[2]، فذكر (المُلك) الثّاني وإظهاره لازمٌ، حتّى لا يوهم المخاطب بأنّ هذا الضمير يرجع إلى المُلك الأوّل، بل يختلف عنه[3] في المعنى والمفهوم[4]، وتَحمِلُ هذه الجملة معاني خَفِيَّة، وهِيَ:

1. (قُلِ اللَّهُمَّ) اسْتِئْنَافٌ ابتدائي، المقصود منه التعريض بأهلِ الكتاب، بأنَّ إعراضَهم إنَّما هو حسَدٌ على زوالِ النُّبوَّة وانقراضِ المُلكِ منهم، مع الإيماءِ إلى أنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّة مُقارِنةٌ للسُّلطان والمُلك.
2. في قوله تعالى: (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) تقديمُ الإيتاءِ على النَّزع إشارة إلى أنَّ الداعي يَنبغي أن يبدأ بالترغيبِ، و(وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ) فيه إشارةٌ إلى أنَّ الدعاء باللّين إنْ لم يُجدِ ثُنِّي بالترهيب.
3. وفي هذه الآية تَنْبِيهٌ وَإِرْشَادٌ إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة؛ لأنَّ الله حَوَّلَ النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي المكي الأُمِّيّ خاتم الأنبياء على الإطلاق، وأنَّ الثناءَ ممَّا يُتوسَّل به إلى الله، وهو في الآية يتضمَّنُ ما تدلُّ عليه هذه الجملةُ, فإذا أثنيتَ على الله بأنَّه يُعِزُّ مَن يشاء، فأنت تسألُه العزَّة، وإشارةٌ أيضًا إلى أنَّ الإخلاصَ للذاتِ العليةِ، وطلبُ الحقِ إرضاءً لله، لَا لأحدٍ سواه، فيه اتجاه إلى مالك المُلك الذي يؤتي الملك مَنْ يشاء، فالإخلاص للحق جل جلاله، يؤدي إلى السلطان الحق من مالك الملك[5].
4. الإشارةُ إلى أنّ الله ﷻ سَينزعُ المُلك من الأكاسرةِ والقياصرةِ ومَنْ تبعهم ويؤتيه أُمَّة محمد ﷺ، وقد فعل ولله الحمد، قال الله تعَالَى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) [النور:55].

وقوله تعالى: (وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) يُؤخَذ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى تامُّ الملك والسُّلطان؛ لكونه يُذِلُّ مَن يشاء، ولو بلَغ ما بلغ من العِزَّة البشريَّة؛ فإنَّ يدَ الله فوقَه مهما بلَغ الإنسانُ مِن العزّ؛ فالله قادرٌ على إذلاله.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّه لا تلازُمَ بين العزّ والمُلك؛ فقد يكون المِلكُ ذليلًا إذا ضَعُف استقلالُه بسوءِ السِّياسةِ وفسادِ التدبير، حتَّى صارتِ الدُّولُ الأخرى تَفْتاتُ عليه.

وقوله تعالى: (مَنْ تَشَاءُ) مَنْ: اسم موصول دال على العموم، فلا يتخصص بجهة دون أخرى، فهو سبحانه ينعم بما شاء على من شاء، وفي ذلك رد على أهل الكتاب الذين يدعون أنَّ ملك النبوة مقصور عليهم، أي: على بني إسرائيل فلا يأخذه أحد غيرهم.

---

[1] ابن الخشّاب: أبو محمد عبد الله بن أحمد شهرته ابن الخَشّاب، (ت/567هـ)، أعلم معاصريه بالعربية، من أهل بغداد مولداً ووفاةً، وقف كتبه على أهل العلم قبيل وفاته. يُنظَر: الأعلام، الزركلي، (67/4).

[2] يُنظَر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (482/2)، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (ص723).

[3] الملك الأول عام شامل، والملكان الآخران خاصان بعضان من كل. يُنظَر: الكشاف، الزمخشري، (149/1).

[4] يُنظَر: روائع القرآن، تمام حسان، (ص119).

[5] يُنظَر: نظم الدرر، البقاعي، (314/4)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (29/2)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (212/3)، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، (1167/3).

- **الدَّلالَةُ الثَّانِيَةُ:** قَولُهُ تعَالَى: **(تُؤْتِي)**.

عَبَّر بالإيتاء دُون التمليك؛ للتنبيه على أنَّ المالكية على الحقيقة إنَّما هي مختصة بالله رب العالمين، أمَّا مَا يُعطيه لِغيره مِن مُلك فهو عَارية مُستردة، وهو شيءٌ زائلٌ لا يَدُوم، وعبَّر بالإيتاءِ أيضًا؛ للدَّلالةِ على أنَّه نِيلَ من الله تعالى من غير قوَّةٍ وغلبةٍ ولا مطاولةٍ فيه، ولإفهامِ مجرَّد الإعطاءِ على (التمليك) المؤذِن بثُبوتِ المالكيَّةِ حقيقةً؛ فإنَّ المُلك حقيقةً هو لله وحْدَه[1].

قال الخوبي[2]: "لا يكاد اللغويون يفرّقون بينهما، وظهر لي أن بينهما فرقًا ينبئ عن بلاغة كتاب الله، وهو إنَّ الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ الإعطاء له مطاوع، يقال أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء آتاني فأتيت، وإنَّما يقال آتاني فأخذت، والفعل الذي له مطاوع أضْعَف في إثبات مفعوله مِن الَّذي لَا مطاوع له"[3].

- **الدَّلالَةُ الثَّالِثَةُ:** قَولُهُ تعَالَى: **(وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ)**.

النزع معناه الأخذ بقوة، نزع الشيء من مكانه قَلَعَهُ، وهذه أيضًا تعريض بأهل الكتاب من حيث مشموليتهم بالنص لا أن النص قاصر عليهم.

وهنا أمر لابد من الإشارة إليه، وهو أنَّ التعبير عَن إزالة الملك، يُشْعِر بأنَّه سبحانه في قدرته أنْ يسلب هذا العطاء مِن أي مخلوق مَهْمَا بَلَغَت سعة وقوة ملكه.

فالتعبير بالنزع مع تكرار كلمة (الْمُلْكَ)، فيه إشارة إلى أنَّه يأخذه منه بعد أن استقر فيه وثبت له، وظن أنَّه لَا مزيل لسلطانه، فيأتيه الله من حيث لَا يحتسب، ويأخذ ملكه أخذ عزيزٍ مقتدر وذلك؛ لأنَّ لفظ النزع يدل على أنَّ المنزوع منه الشيء كان متمسكًا به، فسلبه الله منه بمقتضى قدرته وحكمته[4].

- **الدَّلالَةُ الرابعة:** قَولُهُ تعَالَى: **(بِيَدِكَ الْخَيْرُ)**.

أنَّ الله سبحانه وتعالى بيده الخيرُ, فإذا كان كذلك فإنَّه لا يُطلَب الخيرُ إلَّا منه؛ لأنَّه لا أحدَ بيده الخيرُ إلَّا هو، وفي الآية من النّكات البلاغية في باب علم المعاني، الإيجاز[5]، والمراد (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) والشر، وقد اختلفت آراء المفسّرين حول الجملة (بِيَدِكَ الْخَيْرُ)، لماذا لم يأت في الآية (بيدك الخير والشّر)؟.

الجواب: أي: بقدرتك وتصديقك وقع الخير، تتصرّف فيه قبضًا وبسطًا حسبما تقتضيه مشيئتك، وقيل: المعنى (والشر)، كما قال تعَالَى: (تَقِيكُمُ الْحَرَّ) [النحل:81] أَيْ وَالْبَرْدَ[6].

---

[1] يُنظَر: نظم الدرر، البقاعي، (311/4)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (21/2)، ومحاسن التأويل، القاسمي، (302/2)، وتفسير المنار، رضا، (223/3)، وتفسير السعدي، (126)، وتفسير ابن عثيمين، (161/1)، والتفسير التحليلي، الكبيسي، (ص114).

[2] (الخوبي/626– 693هـ)، محمد بن أحمد بن خليل بن سعادة الخوبي، شهاب الدين، أبو عبد الله قاضي دمشق، وابن قاضيها. مولده ووفاته فيها، ولي قضاء القدس سنة 657هـ. كان فقيهًا شافعيًا. يُنظَر: الأعلام، الزركلي، (324/5)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، (64/23)، والوافي بالوفيات، الصفدي، (97/2).

[3] يُنظَر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (85/4)، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (573/1).

[4] يُنظَر: مختار الصحاح، الرازي، (ص273)، والتفسير التحليلي، الكبيسي، (ص114)، والوسيط، طنطاوي، (71/2).

[5] الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط. يُنظَر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (ص139).

[6] يُنظَر: البحر المحيط، أبو حيان، (438/2)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (55/4)، وتفسير البغوي، (24/2)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (21/2)، وتفسير ابن عثيمين، (161/1).

وتخصيص الخير هنا؛ لأنّ المقام مقام ترجّي المسلمين الخير من الله، وهو تعالى بيده كل شيء، إذ الآية في معنى دعاء ورغبة، فكأن المعنى (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) فأجزل حظي منه[1]، وهذه النكتة البلاغية في الآية الكريمة يطلق عليها في علم المعاني الاكتفاء[2]، وتعريف (الْخَيْر) للتعميم، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ لإفادةِ الحَصر، كأنَّه قال: [3]بيَدِك الخيرُ لا بيدِ غيرِك[4]، وأيضًا في قوله: (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) تمثيل للتصرف في الأمر؛ لأنَّ المتصرف يكون أقوى تصرفه بوضع شيء بيده، ولو كان لا يوضع في اليد، قال عنترة بن الأخرس المعني الطائي:

فَما بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أرْتَجِيهِ وغَيْرُ صُدُودِكَ الخَطْبُ الكَبِيرُ

أي: الخير كله منك ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر فإنه لا يضاف إلى الله لا وصفًا ولا اسمًا؛ ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره، فالخير والشر داخل في القضاء والقدر فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه؛ ولكن لا يضاف إلى الله، فلا يقال: بيدك الخير والشر، ولكن بيدك الخير.

وفيه تنزيهُ اللهِ عن نِسبة الشَّرِّ إليه، بل كلُّ ما نُسِب إليه فهو خيرٌ، والشَّرُّ إنَّما صار شرًّا؛ لانقطاع نسبتِه وإضافتِه إليه. فلو أُضيف إليه لم يكن شرًّا، وهو سبحانه خالقُ الخيرِ والشَّرِّ؛ فالشَّرُّ في بعض مخلوقاتِه لا في خَلقِه وفِعلِه؛ فخَلْقُه وفعلُه وقضاؤُه وقدَرُه خيرٌ كلُّه[5].

والجملتان الأخيرتان (بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ترمزان إلى مطلوب النداء، أي: أعطني الخير فإنك القادر، وإذا أمعنت النظر في هذه الآية سجد قلبك لله، انظر كيف تصدرت بـ(قل)؛ لتكون تعليمًا، وكيف استهل النداء بقوله (اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) بالاسم الجامع أولاً، ثم أردف اسمًا خاصًا يناسب كل مطلوب من العبد، ثم انظر كيف ساق جميع الأفعال بصيغة المضارع الدال على تجدد الحدث والحركة والحيوية فيه.

ثم ختم بالجملة الاسمية حين أخبر عن نفسه وأسمائه وصفاته؛ ليدل على الثبات وعدم التحول؛ لأن التحول ليس من شأن أسمائه.

وفيه إثبات أن الله تعالى خالق الأسباب، وهذا ما أشار إليه سبحانه بقوله تعالى: (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وهو تعميم بعد تخصيص، وقوله تعالى: (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) هذا كالتأكيدِ لِمَا تقدَّم من كونِه مالكًا لإيتاءِ المُلك ونَزْعِه، والإعزازِ والإذلال، مع ما فيه مِن التأكيد بـ(إنَّ)، واسميَّة الجملة، وتقديم الجارِّ والمجرور (عَلَى كُلِّ)[6].

المَسألةُ الثَّانِيَةُ: قالَ تعَالَى: ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [آل عمران:38].

والآن مع قصة مستقلة سيقت في أثناء قصة مريم؛ لكمال الارتباط وشدةِ الاشتباك مع ما في إيرادها من تقرير ما سيقت

[1] يُنظَر: إعراب القرآن وبيانه، درويش، (487/1)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (69/3).
[2] هو نوعٌ من الإيجاز، في الاكتفاء يحذفون بعض الكلام؛ لدلالة الباقي على الذّاهب. يُنظَر: المعجم المفصّل، عكاوي، (ص203).
[3] ذكر بعض أهل التَّفْسِير أن الباء في القرآن على اثني عشر وجها، يُنظَر: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، (ص210).
[4] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (190/8)، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، شيرازي، (447/2)، والتفسير التحليلي، الكبيسي، (ص111)، وروح المعاني، الألوسي، (110/2)، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، (1169/3)، وأسرار البيان في التعبير القرآني، السامرائي، (ص20).
[5] يُنظَر: شفاء العليل، ابن القيّم، (ص179)، وتفسير ابن عثيمين، (158/1)، وتفسير السعدي، (ص401)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (213/3).
[6] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (190/8)، وتفسير بيان السعادة، كنابادي، (256/1)، ودليل البلاغة القرآنية، الدبل (ص410– 411).

له من بيان اصطفاءِ آلَ عمران.

لَمَّا رأى زكريَّا عليه السَّلام ما منَّ الله سبحانه به على مريمَ، وما أكرمَها به من رِزقه الهَنِيء الَّذي أتاها بغيرِ سعيٍ منها ولا كسبٍ، طمعتْ نفسُه بالولدِ مع كونه شيخًا كبيرًا قد وهَن عَظمُه، واشتعلَ رأسه شيبًا، وكانتِ امرأتُه مع ذلك كبيرةً وعاقرًا[1].

وقد حكى القرآن ذلك بأسلوبه البليغ، (هُناك) في كلام العرب إشارة إلى مكان فيه بُعد أو زمان، و(هُنالِكَ) باللام أبلغ في الدلالة على البُعد، ولا يعرب (هُنالِكَ)؛ لأنه إشارة فأشبه الحروف التي جاءت لمعنى. قال صاحب الكشاف: وقد يستعار (هنا، وثم، وحيث)، للزمان، **وفِي هذه الآية دَلالاتٌ خَفِيَّة، بيَانُها على النحو الآتي:**

- **الدَّلالَةُ الأُولىَ:** قَولُهُ تَعَالَى: **(هُنالِكَ دَعا)**.

تقديم الظرف للإيذان بأنَّه أقبل على الدعاء من غير تأخير، أي: في المكان، قبل أن يخرج، وقد نبهه إلى الدعاء مشاهدة خوارق العادة مع قول مريم: (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ)، ويُؤخذ من قوله: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ) أنَّ الخَلْقَ كلَّهم- بما في ذلك الأنبياء- مفتقِرون إلى الله، لا يَستغنُون عن دُعائِه.

وفيه إثباتٌ للقياس؛ لأنَّه لَمَّا رأى أنَّ الله يَرزُقَ هذه المرأةَ بدون سببٍ معلوم، علِم أنَّ الَّذي يسُوقُ لها الرِّزق- وهي امرأةٌ منقطعةٌ عن التَّكسُّب في محرابها- قادرٌ أنْ يرزُقَه ولدًا مع تعذُّر السبب المعلوم أو تعسُّره[2].

قَالَ البَاحِثان: الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤمِن، وأهْل النُّفُوس الزَّكِيَّة يَعْتَبِرُون بِمَا يَرَوْن ويسمعون؛ ولذلك عمد وبادر إلى الدعاء بطلب الولد، فالمبادرة إلى القُرب والطاعات طريق الأنبياء، وهذا حال الصالحين فإن الله عز وجلّ لم يصفهم فقط بعمل الصالحات بل وصفهم بالإسراع إليها.

والتعبير (بدعا[3]ربه) في قَولِهِ تَعَالَى: (دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ)، إشارة إلى تسليمه لله وإلى شعوره بقدرة الله تعالى على كل شيء، فهو الذي خلقه ورباه وتولاه برعايته في كل أدوار حياته.

- **الدَّلالَةُ الثَّانِيَةُ:** قَولُهُ تَعَالَى: **(قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ)**.

أي: مما يخصك أنت القادر على كل شيء؛ لأنَّ لَدُنْ أخص من عند، قال أبو حيان: ألا ترى أنَّ عند تقع جوابًا لـ(أين) ولا تقع جوابًا لـ(لَدُنْ)[4].

وقوله تعالى: (دَعَا رَبَّهُ)، (وقَالَ رَبِّ): فيه تكرارُ لاسمِ الربِّ الجليل، وهو مِن الإظهارِ في موضِعِ الإضمارِ، وفائدتُه: بيانُ شدَّة تعلُّقه بالله تعالى، ولمناسبةِ ما في الربوبيَّةِ من معاني الإحسانِ لمِثل حالتِه.

وقد ورد كلمة (لَدُنْ)، الظرفية في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، كلها في الرحمة، والخير، واللين، ونحوه، وهو استعمال قريب لمعنى الليونة، وأحيانًا لمعنى التلبث وهو استعمال طريف، اعني إكساء معنى (لَدُنْ) الظرفية معنى اللدونة، في قوله (مِنْ

[1] يُنظَر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (14/2)، وتفسير السعدي، (128)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (29/2)، وتفسير ابن كثير، (37/2).

[2] يُنظَر: الكشاف، الزمخشري، (427/1)، والتفسير الكبير، الرازي، (209/3)، وروح المعاني، الألوسي، (139/2)، واللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، (92/2)، وأصول النحو العربي، محمد عيد، (92/2)، وأمالي ابن الشجري، (599/2)، وتفسير ابن عثيمين، (236/1).

[3] يُنظَر: معجم اللغة، عمر، (747/1)، والمعجم الاشتقاقي، جبل، (657/2)

[4] يُنظَر: الوسيط، طنطاوي، (93/2)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (427/1)، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، (1202/3).

لَدُنْكَ): وأُضيفتِ العِنديَّة إلى الله عزَّ وجلَّ؛ قيل: ليكون أبلغَ وأعظمَ؛ لأنَّ هديَّةَ الكريم أكرمُ[1].

- **الدَّلالَةُ الثَّالِثَةُ: قَولُهُ تَعَالَى: (ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً).**

الذُّريَّة جمْع، وهي في هذا الموضِع للواحد؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قال في موضع آخَر مخبرًا عن دعاء زكريَّا: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) [مريم:5]، ولم يقل: (أولياء)، فدلَّ على أنه سأل واحدًا، وإنَّما أنَّث طَيِّبَةً؛ لِتَأنِيثِ الذُّريَّة.

قال الفراء: وأنَّث (طَيِّبَةً)؛ لِتَأنِيثِ الذُّريَّة في اللفظ، فالتأنيث والتذكير تارة يجيء على اللفظ وتارة على المعنى، وَهَذا إنَّما نَقُولُه فِي أسْمَاءِ الأجْنَاس[2].

وفي تقييد الذرية بكونها طيبة، إشارة إلى أنَّ زكريا عليه السَّلامِ؛ لقوة إيمانه، ونقاء سريرته، وحسن صلته بربه، لَا يُرِيدُ ذُرِّيَّة فحسب، وإنَّما يريد ذرية صالحة، يرجى منها الخير في الدنيا والآخرة.

وعلى الإنسانِ ألَّا يسألَ مُطلَقَ الذُّرِّيَّة؛ لأنَّ الذُّرِّيَّة قد يكون منها نكدٌ وفتنة، بل عليه أنْ يسألَ اللهَ الذُّرِّيَّة الطَّيِّبة؛ وذلك يُؤخَذ من قوله: (هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)، ويُستفادُ أنَّه يَنبغي للإنسان أنْ يفعلَ مِن الأسبابِ ما يجعل ذُرِّيَّته طيِّبةً، ومن ذلك الدُّعاء، والتَّوسُّل إلى الله تعالى بأسمائِه المناسِبةِ للحاجةِ؛ وذلك مِن قوله تعالى: (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)، قال القرطبي: دلت هذه الآية على طلب الولد وهي سنة المرسلين والصديقين[3]، وقد ترجم البخاري على هذا (بَاب طَلَبِ الْوَلَدِ)[4].

قَالَ البَاحِثان: وفي تقييد الذرية بكونها طيبة، إشارة أنَّها نعمة ورحمة وخير دنيا وآخره، وفيه إشارة إنْ لم تكنْ طيبة كانت عذاب وبلاء، وربما لو لم تكن لكان أفضل.

المَسألةُ الثَّالثةُ: قَولُهُ تعَالَى: ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:53].

نداءٌ غرضُه التضرُّع إلى الله عزَّ وجلَّ، والعرْضُ لحالهم عليه تعالى بَعدَ عرضِها على الرَّسول؛ مبالغةً في إظهار أمرِهم[5].

أي: قال الحواريُّون: يا ربَّنا، آمنَّا بالإنجيل الَّذي أَنزلتَ على عيسى عليه السَّلام.

وتشير الآية إلى أنَّ التَّوسُّلَ إلى الله تعالى بربوبيَّته؛ وذاك مِن قوله: (رَبَّنَا آمَنَّا)؛ لأنَّ الرُّبوبيَّة تدورُ على ثلاثةِ أشياء، وهي: الخَلْق، والمُلْك، والتَّدبير، وإجابة الدُّعاءِ داخل في هذه الثَّلاثة.

وصَدَّروا ضراعتهم إلى الله ﷻ بالاعتراف الكامل بربوبيته ثم أعلنوا إيمانهم به وبما أنزل على أنبيائه، وهَذا يَدُلُ عَلى أنَّهم فِي نِهَايةِ الأدَبِ مَعَ الله سبحانه، وعَلى أنَّهم فِي أسْمَى مَرَاتِب الإيمان، وفي قوله تعالى: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ) معان خفية:

1. بيانُ أنَّه يجبُ أنْ يكونَ الإيمانُ شاملًا لكلِّ ما أنزَل الله، وعلى المرءِ أنْ يُعلِنَ اتِّباعه للرَّسولِ بين أئمَّة الكفر؛ كيلَا يداهنَ في دِين الله؛ فالمداهنة في دِين الله والتَّقيَّةُ نِفاق في الواقع؛ كما في قوله: (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ).
2. ويُؤخذُ من قوله تعالى: (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) الحرصُ على صُحبةِ الأخيار.

[1] يُنظَر: البحر المحيط، أبو حيان، (142/3)، ومعاني النحو، السامرائي، (218/2).
[2] يُنظَر: جامع البيان، ابن جرير، (362/5)، والكشاف، الزمخشري، (528/1)، والتفسير الكبير، الرازي، (210/3)، والبحر المحيط، أبو حيان، (126/3).
[3] يُنظَر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (29/2)، وروح المعاني، الألوسي، (139/2)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (238/3).
[4] يُنظَر: صحيح البخاري: كتاب النكاح، (بَاب طَلَبِ الْوَلَدِ)، (29/7).
[5] يُنظَر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (42/2).

وفيه تأكيدُ الأمْر بعدَ إشهادِهم عيسى عليه السَّلام على إسلامِ أنفسِهم، حيث قالوا: (وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)، فأَشْهَدوا اللهَ تعالى على ذلك أيضًا تأكيدًا للأمْر، وتقويةً له، وأيضًا طَلبوا من الله مِثلَ ثواب كلِّ مؤمِن شهِد لله بالتوحيدِ ولأنبيائه بالنُّبوَّة[1].

وفي ذِكر الاتِّباع بعد الإيمان في قوله تعالى حِكايةً عن الحواريِّين: (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ)، بيانُ أنَّ العِلم الصَّحيح يستلزم العملَ، والعِلم الَّذي لا أثرَ له في العمل يُشبِهُ أنْ يكونَ مجمَلًا وناقصًا لا يقينًا وإيمانًا، وكثيرًا ما يظنُّ الإنسانُ أنَّه عالمٌ بشيء، حتَّى إذا حاول العملَ به لم يُحسِنْه، فيتبيَّن له أنَّه كان مخطئًا في دعوى العِلم.

3. حُسن الاحتراز في قول الحواريِّين: (بِمَا أَنْزَلْتَ)، ولم يُطلقوا الإيمانَ مَثَلًا بالتَّوراة؛ لأنَّ التَّوراة الَّتي بأيدي اليهود محرَّفةٌ مبدَّلة، وهو أيضًا لفظ عامٌّ، وهو دليلٌ على وجوب الإيمانِ بكلِّ ما أنزل اللهُ مِن كتاب، وأمَّا الاتِّباع فيكونُ للرَّسول الخاصِّ الَّذي أُرسِل إليك؛ لقوله: (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) وهو خاصٌّ.

4. وأنَّه إذا كان هناك وَصفانِ، وكان أحدُ الوصفينِ أخصَّ من الآخرِ بالعمل أو بالحال الَّتي أنت فيها؛ فإنَّ الأَولى أنْ تأخذَ بالأخصِّ؛ لقوله: (الرَّسُولَ)؛ لأنَّ الرَّسول مرسَلٌ إلينا, ولم يقولوا: (واتَّبَعْنا النَّبيَّ)[2].

المَسألةُ الرابعة: قَولُهُ تعَالَى: ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:147].

وفِي الآيةِ تقديمُ خبر (كَانَ) على اسمِها؛ لأنَّه خبرٌ عن مبتدأ محصورٌ؛ إذ المقصودُ حصْرُ أقوالِهم حينئذٍ في مقالة: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنا)، فالقصرُ حقيقيٌّ؛ لأنَّه قصرٌ لقولهم الصادِر منهم، حين حصولِ ما أصابهم في سبيل الله، وتَحمِلُ الآية إشارات لطيفة تزيد الكلام حسنًا.

1. مَن عَوَّلَ في تحصيلِ مَهمَّاته على نفْسه ذَلَّ، ومَن اعتَصَم بالله بالدعاء، والتضرُّع بطلبِ الإمدادِ والإعانةِ منه تعالى، فازَ بالمطلوب.

2. تقديمُ التوبةِ والاستغفارِ في الدُّعاء عند النوائب والمِحَن؛ سواءٌ كان في الجهاد، أو غيرِه، فما نزَل من بلاءِ الدُّنيا إنَّما هو بذنوبِ من البَشر، وأنَّ الإنسانَ مُفتقرٌ إلى مغفرةِ الله؛ لقوله: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)، ولو كان غنيًّا عنها ما سألها، ولكنَّه مفتقرٌ إليها غايةَ الافتقار، وفي قولهم: (وَإِسْرَافَنَا[3] فِي أَمْرِنَا)، أنَّ الإنسانَ لا يَخلو من الإسرافِ على نفْسه: إمَّا في غُلو، وإمَّا في تقصيرٍ؛ وجه ذلك: أنَّ سؤالهم اللهَ أنْ يغفرَ لهم الإسرافَ يدلُّ على وجودِ هذا الشَّيء، وإذا تأمَّل الإنسانُ نفْسَه، وجَد أنَّه لن يَخلوَ من الإسرافِ[4].

3. وإنَّما قدَّموا قولهم: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا)؛ لأنَّه تعالى لَمَّا ضمِن النُّصرةَ للمؤمنين، فإذا لم تَحصُل النصرةُ وظهَرتْ أماراتُ استيلاءِ العدوِّ، دلَّ ذلك ظاهرًا على صدورِ ذنبٍ وتقصيرٍ من المؤمنين؛ فلهذا المعنى يجبُ عليهم تقديمُ التوبةِ والاستغفارِ على طلبِ النُّصرة، وقيل: قدَّموا طلبَهم الاستغفارَ على طلبِ تثبيتِ الأقدام والنُّصرة؛ ليكونَ طلبُهم ذلك إلى الله عن زكاةٍ وطهارةٍ،

---

[1] يُنظَر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (258/1)، وتفسير ابن جرير، (445/5)، والتفسير الوسيط، الواحدي، (441/1)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (443/1)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (98/4)، والتفسير الكبير، الرازي، (235/7)، وتفسير ابن عثيمين، (312/1).

[2] يُنظَر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (258/3).

[3] وإفراطَنا، والسَّرَف: تجاوزُ الحدِّ في كلِّ فِعلٍ يفعلُه الإنسانُ، وأصلُه: تعدِّي الحدِّ، والإغفالُ للشَّيءِ أيضًا. يُنظَر: غريب القرآن، السجستاني، (ص102)، ومقاييس اللغة، ابن فارس، (153/3)، والمفردات، الراغب، (ص407).

[4] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (381/9)، والبحر المحيط، أبو حيان، (373/3)، والكشاف، الزمخشري، (424/1)، وتفسير الشعراوي، (1809/3)، وتفسير ابن عثيمين، (267/2).

فيكون طلبُهم التثبيتَ بتقديمِ الاستغفارِ حريًّا بالإجابة.

وأنَّ الإنسانَ مُفتقرٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ في تثبيتِ القدَم؛ لقوله: (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)، وهذا يتأكَّدُ في ثلاثةِ مواطنَ: عند مواجهةِ الأعداء، وعندَ الشُّبهاتِ، وعندَ الشَّهوات، وأنَّه يَنبغي على الإنسانِ أنْ يَدعوَ الله تعالى بهذا الدُّعاء، لا سيَّما عندَ ملاقاة الكفَّار؛ حتى ينتصرَ عليهم: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا...).

وفي قول الله تعالى حكايةً عن المؤمنين: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا)، بدؤوا بالتوبةِ عن كلِّ المعاصي، وهو المرادُ بقوله: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)، فدخَل فيه كلُّ الذنوب، سواء كانتْ من الصَّغائر أو من الكبائر.

ثم إنَّهم خَصُّوا الذنوبَ العظيمةَ الكبيرةِ منها بالذِّكرِ بعد ذلك؛ لعِظَمها وعِظَم عِقابها، وهو المرادُ من قوله: (وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا)؛ لأنَّ الإسرافَ في كلِّ شيء هو الإفراطُ فيه[1].

[1] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (381/9)، والبحر المحيط، أبو حيان، (374/3)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (120/4).

المبحث الرابع

دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة في الآيات (191-194)

تنتظم دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّةِ في آيَاتِ هذا المطلب في أربع مسائل، بيَانُها على النحو الآتي:

المسألة الأولى: قَولُهُ تعَالَى: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [آل عمران:191].

فاتحة الآيات العشر، المعروفة في الإسلام ب(خواتيم سورة آل عمران)، وهذه الآية الأولى من العشر الخواتيم دعوة صريحة موجهة من الحق سبحانه وتعالى إلى المسلمين؛ ليستعملوا ما وهبهم الله من العقول في النظر إلى ملك الله، والتفكر في ملكوته، بغية التعرف عليهما، واكتشاف سننهما، وعن طريقهما يتعرفون إلى عظيم قدرته.

وذِكْرُ الله تعالى، استحضار عظمته والإحساس بجلاله، واستشعار النفس بنعمه، وإدامةُ ذِكرِ[1]الله تعالى على كلِّ حال، فقدْ أرادَ بقوله تعالى: (قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) عُمومَ الأحوال، على أنَّ هذه الأحوالَ هي مُتعارَفُ أحوالٍ في السَّلامة، أي: أحوال الشُّغل، والرَّاحة، وقَصْد النَّوم.

وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر، ليس لتخصيص الذكر بها؛ بل لأنَّها هي المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالبًا، فكما يذكرونه فيها يذكرونه في غيرها[2]، قال القرطبي: ذكر تعالى ثلاث هيئات لا يخلوا ابن آدم منها في غالب أمره ، فكأنَّها تحصُر زَمانه[3].

وأصنافُ العُبوديَّة ثلاثةُ أقسام: التَّصديقُ والإذعانُ بالقلب، والإقرارُ باللِّسان، والعملُ بالجوارحِ؛ فقوله تعالى: (يَذْكُرُونَ اللَّهَ) إشارةٌ إلى عُبوديَّةِ اللِّسان، وقوله: (قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) إشارةٌ إلى عُبوديَّةِ الجوارحِ والأعضاء، وقوله: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) إشارةٌ إلى عُبوديَّة القلبِ والفِكرِ والرُّوح، والإنسانُ ليس إلَّا هذا المجموع، فإذا كان اللِّسان مستغرقًا في الذِّكرِ، والأركانُ في الشُّكر، والجَنانُ في الفِكر، كان هذا العبدُ مُستغرقًا بجميعِ أجزائِه في العبوديَّة.

وأنَّ ذِكرَ اللهِ تعالى لا يَكفي وَحْدَه في الاهتداءِ إلى الآيات، ولكن يُشترَط معه التفكُّرُ في تِلك الآيات؛ فلا بدَّ من الجمْعِ بَينَ الذِّكر والفِكْر، كما قال سبحانه: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)[4].

وأنَّ ذِكرَ الله عزَّ وجلَّ من لوازمِ العقلِ ومُقتضياتِه؛ لقوله: (لِأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ) ، وذهَب بعضُ أهلِ العِلم إلى جوازِ ذِكرِ الله تعالى للجُنُب، أي: إنَّه يجوزُ للجُنبِ أن يذكُرَ الله؛ لدُخولِه في عموم الآية.

وقوله: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَات وَالْأَرْضِ): فيه إيجازٌ، حيثُ انطوى تَحتَ هذا الإيجازِ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كلُّ مَا تمخَّض عنه العِلمُ من رَوائعِ المُكتَشفات، وبَدائعِ المُستنبَطات[5]، وأنَّه إذا أثْنى على المتفكِّرين في الخَلْق، فالمُتفكِّرون في الشَّرْعِ مِن باب أوْلى؛ لأنَّ الشرعَ ليس أمرًا مَحسوسًا، فالتفكُّر فيه أبلغُ في الإيمانِ من التفكُّرِ في الخَلق؛ الخلق أمرٌ محسوس، كلُّ

[1] ذكر بعض أهل التَّفْسِير أَن الذكر في القرآن على عشرين وجهًا، يُنظَر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، (ص302).

[2] يُنظَر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (196/4)، والتيسير في أحاديث التفسير، الناصري، (298/1)، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، (1547/3)، والوسيط، مجموعة من العلماء، (729/2)، ومحاسن التأويل، القاسمي، (480/2).

[3] يُنظَر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (310/4).

[4] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (459/9)، وتفسير المنار، محمد رشيد رضا، (245/4).

[5] يُنظَر: إعراب القرآن وبيانه، درويش، (132/2)، ودليل البلاغة القرآنية، الدبل، (ص 605).

إنسان يُدركه، لكن حِكَم الشَّرائع وأسرارها ليس لكلِّ أحدٍ أن يُدركها.

وأنَّ صفوةَ الخَلقِ مُحتاجون إلى الدُّعاءِ للوقايةِ مِن النار؛ لقولهم: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)، وهذا التعبير السامي فيه مع المعنى الذي ذكرناه فيه إشارات خفية:

1. قوله: (هَذَا) كِنايةٌ عن المخلوق، يعني: ما خَلقتَ هذا المخلوقَ العجيبَ باطلًا، والتعبيرُ بهَذَا ضربٌ من التَّعظيم، كقوله: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: 9].
2. جِيء بفاءِ التعقيب؛ لترتيبِ الدُّعاءِ على ما ذُكِر، وللاستعدادِ لقَبول الدُّعاءِ؛ فالفاءُ لترتيبِ المدعوِّ (الوقايةَ) على ذلك، كأنَّه قيل: وإذ قدْ عرَفْنا سِرَّك، وأَطَعْنا أمْرَك، ونزَّهناك عمَّا لا يَنبغي؛ فقِنا عَذابَ النارِ الذي هو جزاءُ الذين لا يَعرِفون ذلك.
3. إثباتُ التوسُّل في الدُّعاءِ بصِفاتِ اللهِ؛ يُؤخذ ذلِك مِن قوله: (فَقِنَا)؛ لأنَّهم بَنَوْا فَقِنَا على قولهم: (سُبْحَانَكَ فَقِنَا) يعني: أنَّنا نتوسَّلُ إلى الله عزَّ وجلَّ بتنزُّهه عن النقصِ أنْ يَقِيَنا عذابَ النار؛ لأنَّنا مؤمنون؛ لقوله: (يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)، ويُقرُّون بأنها خُلقتْ بالحقِّ وللحقِّ، ويُنزِّهون اللهَ عزَّ وجلَّ عن كلِّ نقْصٍ وعيبٍ[1].

وتأمل هذا التعبير بالدعاء والتوسُّلُ إلى الله تعالى بالربوبيَّة حالَ الدُّعاءِ، بتعبيرِهم في دُعائِهم باسمِ الربوبيَّة، أو وصْف الربوبيَّة دون اسمِ الجلالة، فلم يقولوا يا الله،؛ في قولهم: (رَبَّنَا)؛ لأنَّ الربوبيَّةَ بها الخَلْقُ والمُلك والتَّدبير، والقيامُ بأمورِ العِباد، ولِمَا في الربوبيَّة من الدَّلالةِ على الشَّفقةِ بالمربوب، ومَحبَّة الخيرِ له، ومِن الاعترافِ بأنَّهم عبيدُه فكان العبدُ مُتعلِّقًا بمَن شأنُه التربيةُ والرِّفقُ والإحسانُ، ولتتأتَّى الإضافةُ المفيدةُ التشريفَ والقُرب[2].

وتكرَّر لفظ (رَبَّنَا) خمسَ مرَّات في خواتيم السورة؛ كل ذلك على سَبيلِ الاستعطاف، وتَطلُّبِ رحمةِ الله تعالى بنِدائِه بهذا الاسمِ الشريفِ الدالِّ على التربيةِ والمُلكِ والإصلاح، وفيه أيضًا دَلالةٌ على الإلحاحِ في المسألة، واعتمادِ كثرةِ الطَّلب مِن الله تعالى، وتَكرارُ الدُّعاءِ من أسبابِ الإجابة.

وأنَّه يَنبغي للدَّاعي أنْ يُكثِرَ مِن الثناءِ على اللهِ تعالى بأسمائِه وصِفاتِه؛ لأنَّ هذا منِ وسائلِ إجابةِ الدُّعاءِ، كما قال تعالى حاكيًا عن الدَّاعينَ الذين أَثْنَى عليهم: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ...). فمَا خَلَقت هَذا الكون؛ ليكون باطلًا؛ ولَكِن ليكونَ حقًّا، الحق قوامه، والحق قانونه، والحق أصيل فيه[3].

المسألة الثانية: قَولُهُ تعَالَى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ [آل عمران:192].

تصديرُ الجملةِ بالنِّداء (رَبَّنَا)؛ للمبالغةِ في التضرُّعِ، وتأكيدُها بـ(إنَّ)؛ لإظهارِ كمالِ اليقينِ بمضمونها، والإيذانِ بشدَّةِ الخوفِ، وإظهارُ (النَّار) في موضِعِ الإضمارِ؛ لتهويلِ أمرِها، وذِكرُ الإدخالِ (تُدْخِلُ) في مَوردِ العذابِ؛ لتعيينِ كيفيتِه وتَبيينِ غايةِ فَظاعتِه.

---

[1] يُنظَر: الكشاف، الزمخشري، (454/1)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (131/2)، وأنوار التنزيل، البيضاوي، (54/2)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (198/4).

[2] يُنظَر: الموافقات، الشاطبي، (203/4)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (202/4)، وتفسير ابن عثيمين، (547/2)، ولمسات بيانية لسور القرآن الكريم، فاضل السامرائي، (367/1).

[3] يُنظَر: البحر المحيط، أبو حيان، (476/3)، وتفسير ابن عثيمين، (575/2)، وفي ظلال القرآن، قطب، (340/2).

وقوله: (أَخْزَيْتَهُ)[1]، يعني فقد أهنته، من الخِزاية، ويَجُوزُ أَنْ يكونَ مِن الخِزْي، وفيه تهويلُ المستعاذِ منه؛ تَنبيهًا على شِدَّة خوفِهم، وطلبِهم الوقايةَ منه، وفيه إشعارٌ بأنَّ العذابَ النَّفسي أفظعُ مِن العذابِ البدنيّ.

قوله: (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ): تذييلٌ؛ لإظهارِ نهايةِ فظاعةِ حالِهم، ببيانِ خُلودِ عَذابِهم بفُقدانِ مَن ينصُرهم ويقومُ بتخليصِهم، وغَرضُه تأكيدُ الاستدعاءِ[2]، والظالم هو الذي يتنكب الطريق المستقيم، وقد وصف من يدخل النار بالظلم للدلالة على أنَّ سبب دخوله إياها هو جوره وظلمه، وللتشنيع عليه بهذا العمل القبيح.

ووضْع الظاهر (لِلظَّالِمِينَ) موضعَ المضمَر– فقد كان مُقتضَى الظاهر أنْ يُقال: (وما لهم) أو (وما له)؛ مُراعاةً لمعنى مَنْ (العموم)، أو مُراعاةً للفظِها (الإفراد)– وفائدة هذا الإظهارِ: الإشعارُ بتخصيصِ الخِزي بهم وذَمُّهم، والإشعارُ بتعليلِ دُخولِهم النارَ بظُلمِهم ووضعِهم الأشياءَ في غيرِ مواضعِها[3]، ومن فوائد أبي السعود في قوله: (رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النار فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) مبالغةٌ في استدعاء الوقايةِ وبيانٌ لسببه، وتصديرُ الجملةِ بالنداء للمبالغةِ في التضرع، وتأكيدُها لإظهار كمالِ اليقينِ بمضمونها والإيذانِ بشدة الخوفِ[4].

المسألة الثالثة: قَولُهُ تعَالَى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**﴾ [آل عمران:193].

تصديرُ مُقدّمةِ الدُّعاءِ بالنِّداء (رَبَّنا)؛ لإظهارِ كمالِ الضَّراعةِ والابتهال' وفيه: إيجازٌ، حيث أَوقعَ الفِعلَ على المُسمَع، وحَذَف المسموعَ؛ لدلالةِ وصْفِه عليه، وهو يُفيد مبالغةً ليستْ في إيقاعِه على نفْس المسموع.

أيْ: تَوَفَنا دَاخِلينَ مَع الأبْرَار، ولَا تَصْلُح الوَاو هُنا، فَلو قُلنا: (توفنا والابرار)؛ لكانَ المَعْنى أنَّهم يَقْتَرِنُون فِي الوفاة، أي: يتوفون فِي وقتٍ واحدٍ وليسَ هَذا المَقْصُود[5].

وفيه بيان أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بذَلَ الجهدَ في دعوةِ الخَلْق إلى الحقّ؛ لأنَّ النداءَ يكون برفْعِ الصوت، فكأنَّ الرَّسولَ ﷺ يدعو الناسَ بأعْلَى صوتِه يُناديهم للإيمانِ.

وفيه إطنابٌ بالتَّكرار، وهو الجَمْع بين (مُنَادِيًا) و(يُنَادِي)؛ وذلك أنَّه ذَكَر النِّداءَ في الأوَّلِ مُطلقًا، ثمَّ ذَكَره في الثَّاني مُقيَّدًا بالإيمان؛ وفائدتُه تفخيمُ شأنِ المُنادِي وتعظيمُه؛ فتَنكيرُ المنادِي وإطلاقُه، ثم تقييدُه بالإيمان؛ تفخيمًا وتعظيمًا لشأنِه؛ لأنَّه لا مُنادِي أعظمُ من منادٍ ينادي للإيمان؛ وذلك لأنَّ المنادِي إذا أُطلق ذهَب الوهمُ إلى منادٍ للحرب، أو لإطفاءِ النَّائِرة، أو لإغاثة المكروبِ، أو الكفايةِ لبعضِ النوازل، فإذا قلت: يُنادي للإيمان، فقد رفعتَ من شأنِ المنادِي وفخَّمته.

والإشارةُ إلى بيانِ عِلَّة الإيمان؛ لقوله: (أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ)؛ فالربُّ أهلٌ لأنْ يُؤمِنَ به الإنسانُ؛ لأنَّه ربٌّ خالقٌ، مالكٌ، مُدبِّر؛

---

[1] أي: أهْلكتَه وأبعدتَه، مِن أَخْزى فلانًا، أي: أَلْزمَه الحُجَّةَ وأذلَّه معها، وخزِيَ الرَّجُلُ: لَحِقَه انكسارٌ، والخزاية: النَّكالُ والفضيحةُ، وأصل الإخزاء: الإبعادُ. يُنظَر: تذكرة الأريب، ابن الجوزي، (ص56)، والتبيان، ابن الهائم، (ص134)، والكليات، الكفوي، (ص432،65).

[2] يُنظَر: التصاريف لتفسير القرآن، القيرواني، (ص131)، الوجوه والنظائر، العسكري، (ص202)، وروح المعاني، الألوسي، (372/2)، وأنوار التنزيل، البيضاوي، (54/2)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (198/4)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، القيرواني، (536/2).

[3] يُنظَر: تفسير المراغي، (164/4)، وإعراب القرآن وبيانه، درويش، (138/2).

[4] يُنظَر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (131/2).

[5] يُنظَر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (55/2)، ومعاني النحو، السامرائي، (243/2).

فهو جديرٌ بأنْ يُؤمِن به العبدُ[1].

جوازُ التوسُّل في الدعاءِ بالأعمالِ الصالحة؛ لقولهم: (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) عطفًا على قولهم: (رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا)، والتوسُّلُ بالأعمالِ الصَّالحة ممَّا ثبَت بالسُّنة أيضًا[2]، وفاء التعقيب؛ للدَّلالةِ على المبادرةِ والسَّبقِ إلى الإيمان، وذلك دليلُ سلامةِ فِطرتِهم مِن الخطأِ والمكابرة، وقد تَوسَّموا أنْ تكونَ مبادرتُهم لإجابةِ دعوةِ الإسلامِ مشكورةً عندَ الله[3]، وفي قوله: (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) معان خفية:

1. فيه تَكرارٌ؛ للتأكيد، حيث طلَبوا من اللهِ تعالى في هذا الدُّعاءِ غُفرانَ الذُّنوب، وتكفيرَ السيِّئات- على القولِ بأنَّ المرادَ بهما شيءٌ واحد-؛ وإنَّما أُعيدَ ذلك للتأكيدِ؛ لأنَّ الإلحاحَ في الدُّعاءِ والمبالغةَ فيه مندوبٌ.
2. والفاء في قوله: (فَاغْفِرْ لَنَا) لترتيبِ المغفرةِ، أو الدُّعاءِ بها على الإيمانِ به تعالى، والإقرارِ برُبوبيَّته؛ فإنَّ ذلك مِن دواعي المغفرةِ والدُّعاءِ بها.
3. (ذُنُوبَنَا) كبائرنا، (سَيِّئَاتِنَا) صغائرنا، خولف بين معنييهما؛ ليكون من باب التتميم للاستيعاب، كقوله تعالى: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [الفاتحة: 3][4] .

المسألة الرابعة: قَولُهُ تعَالَى: ﴿ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [آل عمران:194].

في الآية ما يُسمَّى بـ(الإسجال)[5]؛ فقد سجَّل المولى سبحانَه على ألْسنةِ عِبادِه تحقيقَ موعودِه على لِسانِ رسولِه، وبتأمُّل قوله: (مَا وَعَدْتَنَا) يتَّضح أنَّ هذا الوَعدَ قد أصبح مُبرَمًا لا انفكاكَ لإبرامِه[6].

وتكريرُ (رَبَّنا)؛ للمبالغةِ في الابتهالِ، والدَّلالة على استقلالِ المطالِب وعُلوِّ شأنها، والإعلامِ بما يُوجِب حُسنَ الإجابة وحُسنَ الإثابةِ، من احتمالِ المشاقِّ في دِين الله، والصبرِ على صُعوبة تكاليفِه[7].

ويَتبادر سؤالٌ عندَ قوله تعالى: (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ...)، وهو أنَّ الخُلفَ في وعْدِ اللهِ محالٌ؛ فكيفَ طلبوا بالدُّعاءِ ما عَلِموا أنَّه لا محالةَ واقعٌ؟ والجوابُ عنه من وجوه:

الأوَّل: أنَّه ليس المقصودُ من الدَّعاء طلبَ الفِعل، بل المقصودُ منه إظهارُ الخضوعِ والذلَّة والعُبوديَّة، وكَمالِ الضَّراعة والابتهال، وقد أُمِرْنا بالدُّعاءِ في أشياءَ نعلمُ قطعًا أنَّها تُوجدُ لا محالةَ، كقوله: (قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) [الأنبياء: 112]، وقوله: (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) [غافر: 7].

والوجه الثاني: أنَّ وعْدَ اللهِ لا يتناول آحادَ الأمَّةِ بأعيانهم، بل إنَّما يتناولهم بحسَبِ أوصافهم؛ فإنَّه تعالى وعَدَ المتَّقين

---

[1] يُنظَر: الكشاف، الزمخشري، (455/1)، والتفسير الكبير، الرازي، (466/9)، وإعراب القرآن وبيانه، درويش، (138/2).

[2] يُنظَر: تفسير ابن عثيمين- سورة آل عمران، (558/2). وينظر ما أخرجه البخاري، (2215)، ومسلم، (2743)، من حديث ابن عمر في قصة الثلاثة الذين سدت الصخرة عليهم الغار.

[3] يُنظَر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (199/4)

[4] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (466/9)، والبحر المحيط، أبو حيان، (486/3)، والتحرير والتنوير ابن عاشور، (199/4)، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي، (387/4).

[5] الإسجال: يعني الكتابة أو التسجيل. يُنظَر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، محمد أحمد دهمان، (ص15).

[6] يُنظَر: الإتقان، للسيوطي (65/4)، وإعراب القرآن وبيانه، درويش، (142/2)، ودليل البلاغة القرآنية، الدبل (ص608).

[7] يُنظَر: الكشاف، الزمخشري، (457/1)، وأنوار التنزيل، البيضاوي، (55/2).

بالثواب، ووعَد الفُسَّاقَ بالعقاب، فقوله: (وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا) معناه: وفِّقْنا للأعمالِ التي بها نَصيرُ أهلًا لوعدِك، واعْصِمْنا من الأعمالِ التي نَصيرُ بها أهلًا للعقابِ والخزي، وعلى هذا التقديرِ يكونُ المقصودُ مِن هذه الآيةِ طلَبَ التوفيقِ للطَّاعة، والعِصمةِ عن المعصيةِ، فهذه الدعواتُ ليستْ لخوفِهم من إخلافِ الميعاد، بل لخوفِهم مِن أنْ لا يكونوا مِن جملةِ الموعودِين بسبب تغيُّر الحالِ، وسوءِ الخاتمةِ والمآل؛ فمَرجعُها إلى الدُّعاءِ بالتثبيت.

الوجه الثالث: أنَّ اللهَ تعالى وعَدَ المؤمنين بأنْ يَنصُرَهم في الدُّنيا، ويَقهرَ عدوَّهم؛ فهم طلبوا تَعجيلَ ذلك، وفي قوله: (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ): تعليلٌ لتحقيقِ ما طلَبوا من الدُّعاء.

قال ابن القيم: وتأمل كيف تضمن إيمانهم به والإيمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالى فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه[1].

[1] يُنظَر: التفسير الكبير، الرازي، (468/9)، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، (132/2-133)، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، (ص89).

الخاتِمَة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وبعد هذه الرحلة الممتعة التي عشناها مع كتاب الله عزّ وجلّ، وفي ظلال الزهراء، والنظر في دلالات الألفاظ على المعاني الخفية، جرت العادة في نهاية كل دراسة الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات التي وقفت عليها الدراسة وهي على النحو الآتي:

أولًا: أهم النَّتائج

1. نال علم الدلالة اهتمامًا كبيرًا من العلماء قديمًا وحديثًا.
2. لمفهوم الدلالة سمات تكوينية لدى علماء العربية من لغويين ونحاة وأصوليين وبلاغيين ومفسرين، كما هناك مفاهيم دلالية لدى المحدثين.
3. للقرآن نظمه الخاص المميز إذ تترابط آياته وألفاظه ترابطًا معنويًا وثيقًا، يقوم على أساس التناسب الدلالي الذي يكون بين الألفاظ والفواصل القرآنية والآيات التي ترد فيها، وبين الآيات أنفسها في السورة الواحدة إذ تتابع على أساس معني بحت.
4. تطبيقات دلالة الألفاظ من خلال سورة آل عمران كشفت اختيار القرآن اللفظ المناسب في الموقع المناسب من العبارة القرآنية، وهي مملوءة بالدلالات على المعاني الخفية، وهي من أكثر السور التي ورد فيها الدعاء.
5. سورة ال عمران تحثّ على الدعاء كثيرًا، فمن أولها بدئت بدعاء: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (8)، واختتمت بدعاء: ﴿...رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ (193)، وهذه إشارة إلى أهمية الدعاء عند المسلم؛ ليلجأ إليه دائمًا، وأنه باب من أعظم الأبواب التي يدخل بها المسلم على ربه، ويحقق من خلاله رغباته وأمنياته.

ثانيًا: أهم التَّوْصيات:

1. يوصي الباحثان بالعناية بعلم دلالة الألفاظ على المعاني؛ لأنه العلم الذي يهتمّ بدراسة المعنى.
2. يوصي الباحثان العلماء والباحثين بكتابة الأبحاث في دلالة الألفاظ على المعاني الخفية للآيات القرآنية.
3. يوصي الباحثان العلماء والباحثين والمهتمين بنشر هذا العلم بين الناس.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت:911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1394هـ، 1974م.
2. اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (691-751)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1431هـ.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى, (ت:982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت, ط1.
4. البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م.
5. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت:794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ، 1957م.
6. التبيان في تفسير غريب القرآن: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم، (ت:815هـ) تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
7. التَّحرير والتَّنوير؛ تحرير المعنى السَّديد، وتنوير العقل الجديد مِنْ تفسير الكتاب المجيد: مُحمَّد الطَّاهر بْنِ محمَّد بن محمد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي، (ت:1393هـ)، الدار التونسية للنشر، ط1، 1894هـ.
8. التَّسهيل لعلوم التَّنزيل: الإمام العلَّامة محمَّد بْنُ أحمد بْن جُزيّ الكلبيّ، (ت:741هـ)، ضبطه وصحَّحه وخرَّج آياته: محمَّد سالم هاشم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م.
9. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1357هـ، 1938م.
10. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): الشيخ مُحمَّد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدِّين بن محمد بهاء الدِّين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
11. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: لجنة مِنَ العلماء، إشراف، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصحف الشَّريف، ط3، 1413هـ، 1992م.
12. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت:370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
13. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرِّسالة، ط1، 1420هـ، 2000م.
14. جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري, (ت:310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة, ط1, 1420هـ، 2000م.

15. الجامع المسند الصحيح المختصر مِنْ أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه (صحيح البخاري): أبو عبد الله مُحمَّد بْنُ إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ.
16. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمَّد بْنُ أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدِّين القرطبي، (ت:671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م.
17. خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م.
18. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م.
19. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت:1394هـ)، دار الفكر العربي.
20. شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر): تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار، (ت:972هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ، 1997م.
21. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية، دار الهجرة، ط1، 1426هـ، 2006م.
22. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت:1393هـ) تحقيق: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1426هـ.
23. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1416هـ، 1996م.
24. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرِّواية والدِّراية مِنْ عِلْم التَّفسير: الإمام محمَّد بْن علي بْن محمَّد الشَّوكاني، راجعه وعلَّق عليه: الشَّيخ هشام البخاري، والشَّيخ خضر عكاري، المكتبة العصريَّة، ط1، 1418هـ، 1997م.
25. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:743هـ) تحقيق: إياد محمد الغوج، جميل بني عطا المشرف العام على الإخراج العلمي، محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ، 2013م.
26. القاموس المحيط: مجد الدِّين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت:817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التُّراث في مؤسسة الرِّسالة، بإشراف: محمَّد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ط8، 1426هـ، 2005م.
27. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، (ت: بعد 1158هـ)، تحقيق: د. علي دروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996م.
28. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت:538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
29. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت:711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

30. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار، عمان، ط1، 1423هـ، 2003م.
31. اللمع في أصول الفقه: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، (ت:476هـ)، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ، 2003م.
32. المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحقِّ بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميَّة، ط1، 1413هـ، 1993م.
33. المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت: 505هـ)، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م.
34. المسند الصحيح المختصر مِنَ السُّنن بنقل العدل عَنِ العدل إلى رسول الله (ﷺ): أبو الحسين مسلم بْنُ الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261)، اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمَّد الفاريابي، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ط1، 1427هـ، 2006م.
35. معاني القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: 338هـ), تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.
36. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1423هـ، 2002م.
37. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:597هـ) تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ، 1984م.
38. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت:885هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م.
39. نهاية السول شرح منهاج الوصول: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين، (ت:772هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م.
40. النِّهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدِّين أبو السعادات المبارك بن مُحمَّد بْن عبد الكريم الشَّيباني الجَّزري، المعروف بابن الأثير، (ت:606هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: طاهر أحمد الزَّاوي، محمود محمَّد الطَّناحي، 1399هـ، 1979م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

❖ Alquran Alkarim(in Arabic)

1. al'iitqan fi eulum alqurana: (in Arabic) eabd alruhmin bin 'abi bukr, jalal aldiyn alsywty, (t:911h), tahqiqa: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, alhayyat almisriat aleamat lilkitab, t1, 1394h, 1974m.
2. aijtimae aljuyush al'iislamiat ealaa harb almuetilat waljahmiati: (in Arabic) 'abu eabd allah muhamad bin 'abi bikr bin 'ayuwb abn qiam aljwzyt, (691-751), thqyq: zayid bin 'ahmad alnshyry, dar ealam alfawayid, makat almukramat, t1, 1431h.

3. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitab alkariama: (in Arabic) 'abu alsueud aleimadii muhamad bin muhamad bin masatafaa, (t:982h), dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, t1.
4. albahr almuhita: (in Arabic) muhamad bin yusif alshahir bi'abi hayaan al'andilsi, thqyq: alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud walshaykh eali muhamad mueawad, dar alkutub aleilmiat, birut, t1, 1422h, 2001m.
5. alburhan fi eulum alqurani: (in Arabic) badr aldiyn muhamad bin eabd allh bin bihadir alzarkashii, (ta:794ha), tahqiq: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar 'iihya' alkutub alearbiat, t1, 1376h, 1957m.
6. altabiaan fi tafsir ghurayb alqurana: (in Arabic) 'ahmad bin muhamad bin eimad aldiyn bin eali, 'abu aleibas, shihab aldiyn, abn alhayim, (t:815h) tahqiq: d. dahi eabd albaqi muhamad, dar algharb al'iislami, bayrut.
7. alttahryr walttanwyr; tahrir almaenaa alssadyd, watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitab almujida: (in Arabic) muhmmad alttahr bn mhmmad bin muhamad alttahr bin eashur alttunsy, (t:1393h), aldaar altuwnisiat lilnashr, t1, 1894h.
8. alttashyl lieulum alttanzyl: (in Arabic) al'imam alellamt mhmmad bn 'ahmad bn juzy alklbyi, (t:741h), dibtuh wshhahh wkhrraj ayatiha: mhmmad salim hashim, dar alkutub alelmyat, birut, t1, 1415h, 1995m.
9. altaerifat: (in Arabic) eali bin muhamad bin eali aljarjani, tahqiq: 'iibrahim al'abiarii, dar alkitab alearabii, bayrut, t1, 1357h, 1938m.
10. tafsir alquran alhakim (tfasir almanara): (in Arabic) alshaykh muhmmad rashid bin eali rida bin muhamad shams alddin bin muhamad biha' alddin bin munala eali khalifat alqalmunii alhsyny, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1990m.
11. altafsir alwasit lilquran alkariama: (in Arabic) lajnat min aleulama'i, 'iishraf, majmae albihwth al'iislamiat bial'azhiri, mutbaeat almashaf alshsharyf, ta3, 1413h, 1992m.
12. tahdhib allighati: (in Arabic) muhamad bin 'ahmad bin al'azhri alharwi, 'abu mansur, (t:370h), tahqiq: muhamad eiwad mareab, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, t1, 2001m.
13. taysir alkarim alruhmini fi tafsir kalam almanan: (in Arabic) eabd alruhmin bin nasir bin alsiedi, thqyq: eabd alruhmin bin maela allwyhq, muasasat alrrisalt, t1, 1420h, 2000m.
14. jamie albayan fi tawil alqurani: (in Arabic) 'abu jaefar muhamad bin jarir bin yazid altabria, (t:310ha) tahqiq: 'ahmad muhamad shakir, muasasat alrasalat, ta1, 1420h, 2000m.
15. aljamie almusanad alsahih almukhtasir min 'umur rasul allah (□) wasananh wa'ayaamih (shih albikhari): (in Arabic) 'abu eabd allah muhmmad bn 'iismaeil bin 'iibrahim bin almaghirat albikhari, tahqiq: mhmmad zahir bin nasir alnnasr, dar tuq alnnajat, t1, 1422h.
16. aljamie li'ahkam alqurana: (in Arabic) 'abu eabd allah mhmmad bn 'ahmad bin 'abi bikr bin farih al'ansarii alkhazriji, shams alddin alqurtibi, (t:671ha), tahqiqa: 'ahmad albirdwni, wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almsryat, alqahirat, t2, 1384h, 1964m.
17. khazanat al'adab waghayat al'arba: (in Arabic) taqiu aldiyn 'abi bikr eali bin eabd allh alhamawi al'azrari, tahqyq: eisam shaeytw, dar wamaktabat alhalal, bayrut, t1, 1987m.

18. dalayil al'iiejaz: (in Arabic) 'abu bakr eabd alqahir bin ebdalrhmn bin muhamad aljarjani, dar alkitab alearabi, bayrut, t1, 1995m.
19. zahrat altafasira: (in Arabic) muhamad bin 'ahmad bin mustafaa bin 'ahmad almaeruf bi'abi zahrat, (t:1394h), dar alfikr alearabi.
20. sharah alkawkab almunira(almusamaa bimukhtasir altahrir 'aw almukhtabar almubtakar sharah almukhtasra): (in Arabic) taqi aldiyn 'abu albaqa' muhamad bin 'ahmad bin eabd aleaziz bin eali alftuhi almaeruf biaibn alnujar, (t:972ha), tahqiq: muhamad alzahili wanazih hamad, maktabat aleabaykan, t2, 1418h, 1997m.
21. sifat allah eazun wajali alwaridat fi alkitab walsanati: (in Arabic) elwy bin eabd alqadir alssqqaf, aldarar alsaniati, dar alhijrat, t1, 1426h, 2006m.
22. aleadhb alnnamir min majalis alshshanqiti fi alttafsiri: (in Arabic) muhamad al'amin bin muhamad almukhtar bin eabd alqadir aljakni alshnqiti, (t:1393h) thqyq: khalid bin euthman alsabt 'iishraf: bikr bin eabd allh 'abu zid, dar ealam alfawayd lilnashr waltawzie, makat almukramat, t1, 1426h.
23. gharayib alquran waraghayib alfurqana: (in Arabic) nizam aldiyn alhasan bin muhamad bin husayn alqumiy alnysabwry, thqyq: alshaykh zakariaa eamiran, dar alkutub aleilmiat - bayrut, t1, 1416h, 1996m.
24. fath alqadir aljamie bayn fny alrriwayt walddirayt min eilm alttafsyr: (in Arabic) al'imam mhmmad bn eali bn mhmmad alshshawkany, rajieuh wellaq ealayha: alshshaykh hisham albikhary, walshshaykh khadir eakari, almaktabat alesryat, t1, 1418h, 1997m.
25. futuh alghayb fi alkashf ean qunae alriyb (hashiyat altaybii ealaa alkashafa): (in Arabic) sharaf aldiyn alhusayn bin eabd allh altaybii (t:743h) tahqiq: 'iiad muhamad alghawja, jamil bani eata almashrif aleama ealaa al'iikhraj aleilmii, muhamad eabd alrahim sultan aleulma'i, alnashr: jayizat dubay alduwaliat lilquran alkarimi, t1, 1434h, 2013m.
26. alqamus almhyt: (in Arabic) majd alddin 'abu tahir mhmmad bin yaequb alfiruzabadaa, (t:817h), thqyq: maktab tahqiq altturath fi muasasat alrrisalt, bi'iishrafa: mhmmad naeim alerqsusy, muasasat alrrisalt llttibaet walnnashr walttawzye, bayrut, t8, 1426h, 2005m.
27. kashaf aistilahat alfunun waleuluma: (in Arabic) muhamad bin eali abn alqadi muhamad hamid bin mhmmd sabir alfaruqii alhinfii altihanwi, (t: baed 1158ha), tahqiq: da. eali duruj, maktabat lubnan, bayruut, t1, 1996m.
28. alkashaf ean haqayiq ghuamid altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil: (in Arabic) 'abu alqasim mahmud abn eamrw bin 'ahmad, alzamkhashri (t:538h), dar alkitab alearabiu, bayaruut, 1407h.
29. lisan aleuraba: (in Arabic) 'abu alfadl jamal aldiyn muhamad bin mukrim bin ealaa bin manzur al'ansarii al'iifriqii almisrii (t:711h), dar sadir, bayruut, t3, 1414h.
30. lamasat bianiat fi nusus min altanzili: (in Arabic) fadil bin salih bin mahdi bin khalil albadri alsamrayiy, dar eamaar, eamaan, t1, 1423h, 2003m.

31. allamae fi 'usul alfaqiha: (in Arabic) 'abu 'iishaq 'iibrahim bin eali bin yusif alshiyrazi, (t:476h), dar alkutub aleilmiat, t2, 1424h, 2003m.
32. almhrrar alwajiz fi tafsir alkitab aleaziz: (in Arabic) 'abu muhamad eabd alhqq bin ghalib bin eatiat al'undilsi, tahqiq : eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, dar alkutub alelmyat, t1, 1413h, 1993m.
33. almustasfaa fi eilm al'usul: (in Arabic) 'abu hamid muhamad bin muhamad alghazali altuwsi, (t: 505h), tahqiq: muhamad bin sulayman al'ashqar, muasasat alrisalat, bayruut, t1, 1417h, 1997m.
34. almasanad alsahih almukhtasar min alssunn binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah (□):(in Arabic) 'abu alhusayn muslim bn alhujaj alqashirii alniysaburi (t:261), aietanaa biha: 'abu qatibat nazar mhmmad alfariabi, dar tayibat llnnashr walttawzye, alrriad, t1, 1427h, 2006m.
35. maeani alqurana: (in Arabic) 'abu jaefar alnnhhas 'ahmad bin muhamad bin 'iismaeil bin yunis almuradi alnahwi, (t: 338h), tahqiqa:an muhamad eali alsabwni, jamieat 'am alquraa, makat almukramat, t1, 1409h.
36. maejam maqayis allighat: (in Arabic) 'abu alhusayn 'ahmad bin faris bin zkaria, thqyq: eabd alssalam muhamad harun, aitihad alkuttab alearab, t1, 1423h, 2002m.
37. nuzhat al'aeyun alnuwazir fi eilm alwujuh walnazayira: (in Arabic) jamal aldiyn 'abu alfarj eabd alruhmin bin eali bin muhamad aljawzi (almatawafaa:597h) tahqiqu: muhamad eabd alkarim kazim alradi, muasasat alrasalat, bayruut, t1, 1404h, 1984m.
38. nazam aldarar fi tanasab alayat walsuwra: (in Arabic) 'iibrahim bin eumar bin hasan alribat bin eali bin 'abi bikr albiqaei, (t:885h), dar alkutub aleilmiat , bayrut, t1, 1415h, 1995m.
39. nihayat alsuwl sharah munhaj alwusul: (in Arabic) eabd alrahim bin alhasan bin eali al'iisnawi alshafey, 'abu mahamad, jamal aldyn, (t:772h), dar alkutub aleilmiat, birut, t1, 1420h, 1999m.
40. alnnihayt fi ghurayb alhadith wal'athara: (in Arabic) majd alddin 'abu alsaeadat almubarak bin muhmmad bn eabd alkarim alshshaybany aljjazry, almaeruf biaibn al'athiri, (t:606ha), almuktabat aleilmiatu, birwt, thqyq: tahir 'ahmad alzzawy, mahmud mhmmad alttanahy, 1399h, 1979m.